جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

اللغة والأدب العربي

دراسات أدبية

أدب حديث ومعاصر

رقم ح37 /2019/5

إعداد الطالبة

حليمـــــة بوذينة

يوم :2019/06/24

الحس المأساوي من خلال "صرخة في وجه الموت" لـ: عبابسة حسان

لجنة المناقشة:

بشير تاوريريت	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
حكيمة سبيعي	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا و مقررا
محمد الأمين بركات	أ. مس ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية: 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالي :

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾

﴿سورة الصافات الأية 107﴾

شكر وعرفان

تنفرط العبارات ، وتَفِرُّ الالهامات ، ويعجز اللّسان في التعبير عن مواقف التشكرات ، لمن قدّم يد العون والعطاءات بكلِّ اتقان ، دون اختزالات فقد تزاحمت وتراصت الكلمات لتنظيم عقد الشكر والتقديرات ، لكنها عجزت أمام مقامكم الرّفيع ،ومستواكم البديع ، وتناثرت كتناثر العبارات لتصبح كلمات عجاف ،تحتشم وتخاف ، ألا توفي بفضلكم العظيم ،وعونكم الكبير ،وصبركم الجليل فحقا لقد عجّزتم لساني الذّليل.

أستاذتي الفاضلة "سبيعي حكيمة" الدكتورة المثابرة .

الشجرة المثمرة التي تفيأت عليّا بضلالها الوافرة على بذرة بحثي اليائعة توجيها وتنقيحًا وهي صابرة ولم تبخل عليّا بمعلومة صائبة ولا نصيحة فيها فائدة.

إن من دواعي الشرف والسرور والغبطة أن أتوجه إلى أستاذتي الجليلة بكلِّ معاني الشكر والعرفان التي غمرتنا بجميل صدرها دلالة على حنكة الأدباء ، ومعاملتها الطيبة دلالة عن تواضع العلماء . ورحابة صدرها على سماحة الأجلاء ،فأرجوا أن تكون في ميزان حسناتكم لعلّ دعواتنا تطرق أبواب السماء فتكون أبلغ من حروفنا المتلاشية المنكهة ،المتعبة من العياء في لهيب الحياة .

إلى كل أستاذ وأستاذة حاولت مساءلتهم للنصح والإفادة وغمروني برعايتهم المعتادة على سبيل الحصر لا الإعاد . الأستاذ لخضر تومي ، زاغز نزيهة ، بشير تاوريريت ، حورية بوعجاجة...

إلى كل الطلبة والطالبات الذين أعانوني بتلك البطاقات، و التشجيعات

إلى الوجوه الطيبة ،والأيادي الحنونة ،والقلوب المصونة التي آوتني وآزرتني ،عمال وعاملات المكتبات الخاصة والعمومية وأخص بالشكر : عفاف ، فطيمة ، عزيزة ... وكل البنات اللواتي كن عونًا في هذه المذكرة.

إهـــــــــــــــــــــــــــــــداء :

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ صدق الله العظيم.

إلهي لا يطيب اللّيل إلاّ بشكرك، ولا يطيب النهار إلاّ بطاعتك، ولا تطيب الآخرة إلاّ بعفوك، ولا تطيب الجنّة إلا برؤيتك **(الله جلّ جلاله)**.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة إلى نبي الله ونور العالمين سيّدنا **(محمد صلى الله عليه وسلم)**.

إلى من علمني العطاء بدون انتظار لي من أجمل لقبه بكل افتخار، إلى من علمني الحفاظ على أمانة العلم بكل وقار، إلى من دافع عن تعليمي بكل إصرار إلى من لم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه المدرار إلى الروح الطاهرة في روضة الخلاق، إلى من كان قلبه للجنة مشتاق.

(إلى نور عيوني أبي)

إلى من حملتني حنانا في الأعماق، إلى من ربتني طفلة في مقلة الأحداق، إلى من كبرتني طالبة ترنو إلى التي كانت الدواء والترياق، إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي، وحنانها بلسم جراحي إلى مقلة العين، وجمانة الروح إلى من ملكت علّي شغاف القلب، ورفعتني بحبها إلى أسمى المراتب، أحبها فأرتد كالعاشقة الصّب، و أتذكرها في السرور والطرب، وعند المآسي والغضب، هي عندي أغلى من النفس والذهب، إلى من قالت لي لن أذهب، ولكن؟؟؟ ورحلت ولم تقلي السبب، ولم يبقى لي سوى المآسي والتعب إلى من أنشدها في صفحات الكتب مأساة للحنين والشوق والحب، طالبة لها أعلى الجنان من الرب، اللهم إنك سميع قريب فأستجب **(أمي عشقي وصبابتي، حبيبة قلبي)**

إلى عناقيدي المتدلية حبّا وحنانا:

إلى أخي الأكبر وعمله المتفاني هو مثلي أبي الثاني

إلى أخي الأصغر، وعمله الجيّد، هو عمدي وسندي

إلى الواحة التي استظل بها من حر الصيف، التي تمنحني الدفء والحنان إلى حبيباتي أخواتي، اللّواتي قاسمن معي الأفراح والأحزان، (كل أخواتي من الدّم والدّين)

إلى رياحين و أنهار بساتين الأخوة والأخوات و أمهاتهم وآبائهم الفضلى و الفضليات: محمد، رونق، أنفال، عبد الرحمان، سعيد، زهرة، سرين آدم، هبة، عبد المالك، عبد الرحمان، سعيد، زهرة ، سرين ، آدم ،هبة،عبد المالك....

إلى روعتي ورائعتي، إلى أستاذتي إلى منحنى الأمل، ومشجعتي للعمل،و آزرتني في المحن (**حكيمة سبيعي)**

إلى جوهرتي الثمينة، ونخلتي الطويلة، التي ضللتني من ظلالها الوارثة الجميلة

إلى البنات الغاليات، حبيبات القلب، إلى من قدّمن لي يد المساعدة بدون إنذار، وأعانوني دون انتظار وشجعوني بكل إصرار لكن الحب لا ينضب كالمدرار.

مقدمة

الحس المأساوي يعبر عن مكنونات النفس التي تتأرجح بين مشاعر الألم،وأحاسيس الوجع؛ فهو عاطفة إنسانية متأسِّية أدرك أثارها الإنسان، منذ أن أدرك العلاقة بينه وبين أخيه، فقد جرب آلامها، وعاش صُورها المختلفة ليجد نفسه في أحضانه كملاذ للتعبير عن العجز في تحقيق ما يرضيه من رغبات و أهواء، ويُحاول التَّنفيس بوسائل عدَّة أدناها البكاء وآياته الدُّموع، وأقصاها مِحْبَرة الكلمات وأقلام الآهات التي يحملها شعراء العبارات في صحاري المأساة لأنهم الأقدر عن التعبير لهذا الألم الدَّفين؛ بل هم أرهف الناس حسًّا لهواجس المأساوية التي أحبروها أشعارا تتندى بأوجاع القلب الحزين، تتفطر بالأشواق والحنين، تتفجع ألما وأنين على مدى الأيام والسنين.

لقد استفاضت نغمة المأساوية في عصرنا الحالي حتى صارت سمة دالة عليه؛ تزداد قتامة،وسوداوية نظرا لتلك الأحداث المتعاقبة خاصة السياسية التي هيأت مناخا خاصا لِأَشعار التأسِّي استدعتها ظروف عصرنا المشحون بالفتن؛ وعليه فإن الشعراء قد اغترفوا من معين المأساوية، و**عبابسة حسان** واحد من هؤلاء؛ تأثرًا بالمشهد العربي الدَّامي الذي يُفَسِّره الوضع الراهن بكلّ حيثياته، فجاء بحثنا موسوما بك "الحس المأساوي" من خلال "صرخة في وجه الموت" لِحسان عبابسة، هذا الأخير الذي انبثق شعرهُ من بذور الواقع مختزلا فيه الأبعاد السياسية والاجتماعية...إلى صورٍ مشحونة بطاقات تعبيرية ثائرة على واقع الأقوال لا الأفعال في محراب المأساوية التي تحاصرنا بأسئلة كان بعضها هاجسا مؤرقا منها : ما حقيقة الحس المأساوي؟؟ وما هي أبرز الدوافع التي يقوم عليها؟؟ والأهم من ذلك فيم تجلّى وتمظهر عند عبابسة حسان؟

والبحث محْمُولْ على دواعٍ ومؤسس على أسباب تُقوي عَضُدَ البحث لذا فإن أهم الأسباب التي قادتني إلى اختيار هذا الموضوع هو بروز الظاهرة المأساوية و التي فرضت نفسها كباقي الظواهر، واستقطابها من طرف شاعر جزائري معاصر؛ حيث قلة الدراسات حول شعراء جزائريين خاصة حول ظاهرة الحس المأساوي هذا إذ لم تخلو منه.

وكان هدفنا الأسمى الذي سعينا إليه هو البحث عن الدواعي التي جسَّدت الحس المأساوي.

وللإجابة عن التساؤلات المذكورة آنفا حاولنا هندسة خطة منهجية احتوت: ثلاث فصول، مقدمة،وخاتمة فكان الفصل الأول نظري يسير مقابل التطبيقي الذي حاولنا فيه استنطاق بعض النماذج الشعرية لشعراء العصر الحديث والمعاصر.

وإستنكاه ما فيها من أفكار وخلجات تُنبئ عن الحس المأساوي المُودع في قوالب فنية متفاوتة من شاعر إلى آخر مع الولوج لأهم أسباب المأساوية في عصرنا الحالي.

أما الفصل الثاني تطبيقي حاولنا فيه تجسيد مظاهر الحس عند عبابسة حسان: الاتجاه السياسي ضمّ 1-الحس المأساوي الفلسطيني،2-الحس المأساوي في ثنائية الطفل والحجارة،3- الحس المأساوي في الهجو السياسي، أمّا الفصل الثالث تندرج تحته مجموعة من العناصر: هو الآخر الاتجاه السياسي العربي (العراق، لبنان) وآخر إسلامي (شيشان والصومال)، بالإضافة إلى الاتجاه الاجتماعي والدّيني.

وختمنا البحث بخاتمة احتوت أهم ما توصلنا إليه من نتائج متواضعة.

ولقد اتكئ هذا البحث على زادٍ معتبر من المراجع والمصادر نرجو أن تكون قد أثرت رواؤهُ، وعزّزت نتائجه، ومن أهمها: عبد الرحمان عقراوي، الحزن في الشعر الأموي، عز الدّين إسماعيل الشعر العربي المعاصر (وظواهره الفنّية والمعنوية)، عبد الكريم أحمد إسماعيل القضية الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر.

ومن الطبيعي أن تكون هناك صعوبات وعراقيل خاصة النفسية المرتبطة بها، حس الانطلاق لذلك كانت هناك صعوبات ذاتية تمثلت في ظروف الحياة التي كادت تعصف بهذا البحث لولا رحمة ربي وتشجيعات المشرفة الفاضلة، أما الصعوبات الموضوعية هي قلة الدراسات التي تتناول الظاهرة المأساوية، إذ أنهُ لايمكننا أن نمسك ولو بعنوان واحد يحمل ثمرة المأساة بجذورها، ولكن تتبعنا بذورها المنتشرة في البكاء والحنين والمراثي والاغتراب...إلخ.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون المنهج المتبع هو المنهج الوصفي يتناول بالتحليل ما جاء في شعر عبابسة حسان.

ويبقى البحث يشوبه الزلل والنقصان فهذا من طبيعة الإنسان لذلك نتلمس العذر في العجز و التقصير، ولا نزعم أننا وصلنا إلى الغاية لكننا سعينا إليها نطمع في حسن الاجتهاد الذي يمكننا من صقل تجاربنا في مجال البحث؛ هذا الأخير الذي يُجزى الشكر الجزيل، ولكني عاجزة عن إيفاء الأستاذة المشرفة حق التقدير والثناء والدُّعاء، واعترافا بالجميل فإني أجد نفسي أقف وقفة إجلال واكبار واحترام للأستاذة التي عمَّتني بجميل صبرها، وحسن معاملتها ولم تبخل عليَّ بوقتها الثمين.فبكل فخر واعتزاز أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذة الفاضلة المشرفة الدكتورة سبيعي حكيمة على مدّ يد العون أمدّها الله المولى القدير بالصحة والنعيم كما أتقدم بخالص الشكر لأعضاء اللجنة الأفاضل الذين أغنوه بنصائحهم القيمة، وتوجيهاتهم السَّديدة، وصبرهم الجميل.

ولله الكمال هو وليُّ السَّداد والتوفيق والحمد لله ربِّ العالمين.

الفصل الاول:

الحس المأساوي (مفاهيم وتشكيلات)

أولا: تعريفات عامة:

تعدّ ظاهرة الحس المأساوية حقيقة من حقائق الحياة الإنسانية، وسمة بارزة تطفو في معظم النّتاجات الشّعرية خاصة في شعرنا المعاصر، حتى أصبحت علامة دالة عليه، فهي ليست كتلك الظواهر الطبيعية، والاجتماعية التي تتميز بالوضوح، وإمكانية التحديد، بل هي ظاهرة نفسية ترتبط بالجانب المحسوس غير المدرك لتصيب المرء بالألم والتّوجع لفترات زمنية متفاوتة الشّدة يحسّ فيها بمأساته، والتي هي ليست حكرا على إنسان دون آخر لأنّ الشعور بها لدى البشرية جمعاء إلاّ أنّ الفرق يكمن في من يجعلها طريقا نحو التحدّي والخلاص، وتجاوز الصِّعاب، وذلك بِرفع السِّتار عن تلك الجوانب السَّوداوية الخَفِيَّة التي تَصول، وتجول في بُحورها المكدَّرة بالأسى والأحزان، حتّى تكون المأساة نبراسا يَتجلَّد به الآخرين وقت الشّدة والمِحن.

ومن هؤلاء الذين يروون الخلاص والكفاح من أجلها(الماساة) نجد الشعراء الذين لم يصمتوا أمام تلك الآهات المُقرِّحة، والآلام المُبَرِّحة، والأحزان المُجرِّحة، التي تنهش وُجودَهم وتَمْحو كَيانهم، بل كيان أمَّتِهم، كما أنهم لم يغمضوا أعينهم عن مناظر البؤس والشّقاء والقهر، والاستبداد، فانفجروا قصائد غُرًا موسومة بالأحزان مفجَّعة بالآلام تقطر دمعا ودمًا في متحف الأيام، شاهدة على تلك الزفرات والآهات النابعة من قلوبهم لأنهم يعيشون في حاجز ضبابي مع الحياة آملين أن يلمحوا بارقة أمل تلوح في ساحة أحزانهم تزيح الضباب، وتفرّق السّحاب، وتغسل وجه الكآبة، حتى يشيع الأمان، والاطمئنان، ومن أجل توضيح ظاهرة الحس المأساوية نحاول ضبط مفاهيمه.

1-ماهية الحس والمأساة لغة:

1-أ) لغة:

الحسُّ والحسيس: الصوت الخفيّ، والحسُّ بكسر الحاء من أحسسْتُ بالشيء يحسُّ حسًا وحِسًا، وأحسُّ به أي أشعرُ به.[1]

حيث جاء في محكم التنزيل قوله تعالى:﴿ لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ [2]

وجاء في قاموس المحيط « أُحِسُ بكسرٍ بمعنى رَقَقْتُ لهُ »[3]، وفي نفس المعنى ورد في قاموس المحيط أنّه يقال:« حِسًا، تألم آلامه وعَطَفَ عليه والحَسُّ هو قويُّ الإحساس»[4].

1-ب) المأساة لغة:

جاء في لسان العرب: اليأس بمعنى القنوط، وهو ضّدُّ الرّجاء[5]، لقوله عز من قائل: ﴿ إِذَا مَسَهُ الشَّرُ كَانَ يَؤُوسًا﴾[6].

أمّا في معجم الوسيط فقد وردت المأساة بمعنى: آسَى الجرح أو المرض أسيًا وآسى عليه، وله، وأسَى: حزن فهو آسًّي، ويؤاسي، مواساة، ومؤاساة[7].

الحس المأساوية مكوّن من لفظتين، والعلاقة بينهما هي علاقة الصِّفة بالموصوف.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (حسّ)، ج6، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 1994م، ص49.

[2]- سورة الأنبياء، 102.

[3]- الفيروز آبادي، قاموس المحيط، مادة (الحس)، دار المادة الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 199م، ص328.

[4]- مصطفى إبراهيم وآخرون، قاموس الوسيط، مادة (حسَّ) ح، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، (ر،س)، ص172-173.

[5]- ابن منظور، لسان العرب،مادة (يئس) ج6، ص250.

[6]- سورة الإسراء: الآية: 83.

[7]- مصطفى ابراهيم وآخرون، القاموس الوسيط ج1، مادة، س، ص18.

2- ماهية الحس والمأساة اصطلاحا:

2-أ) الحس اصطلاحا:

الحَسُّ نابع من المشاعر، يقترب من لفظ الإحساس ليشترك معه في الوحدات الصوتية، ويختلف عنه في الدّلالة، وهذا الأخير يقول عنه ابن الأثير هو العلم بالحواس الذي يتم عبر القوى الحاسة[1]، ويقول عنه أفلاطون أنّه أمر فردي متغيّر[2] حيث أنّه يعتري الإنسان كرد فعل طبيعي للمؤثرات والمنبهات المحيطة به[3]، وهكذا فإنّ الحس قوة ملكة في حين الإحساس ظاهرة لا غير[4]، وبناء عليه فإنّ الحسّ يتجاوز الإحساس إلى الإدراك الذي ليس له لون فيبصر أو صوتا فيسمع، ولكن يدرك ذلك بالفعل العقلي.[5]

2-ب) المأساة اصطلاحا:

لنغوص في أغواره، ونكشف أسراره، لابّد من إدراجه في حقله، الأعم ألا وهو المأساة هذه الأخيرة التي كانت رفيقة الإنسان منذ الأزل، بل إنّها ارتبطت مع سيّدنا آدم عليه السلام مع الخطيئة الأولى وكان ذلك بإيعاز من الشيطان حينما أكلا من الشجرة التي نهاهما المولى عزَّ وجلَّ وأصبحا نادمين حزينين مصداقا لقوله تعالى:﴿ فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ اَلْجَنَّةِ، وَعَصَى آَدَمُ رَّبَهُ فَغَوَى﴾[6]إنّها غواية الشيطان، وعصيان سيّدنا آدم عليه السّلام، وهذه أول خطيئة بني الإنسان في الجنّة التي يخرج منها، وينزل إلى الأرض، وهنا تبدأ مأساته الحقيقية، وتبدأ معها رحلة العذاب و الأحزان مع ذريّته ويبدأ الغِلُ والحسد والكره وحتى القتل مع قابيل وهابيل يقول

---

[1]-محمد كشاش، اللغة والحواس (رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات غير اللسانية)، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 2001م، ص29-30.

[2]-محمد جمال الكيلاني، معجم المصطلحات الأفلاطونية (مفهومها و دلالتها)، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، مصر، 2010م، ص113.

[3]-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، (د.ط)، بيروت، لبنان، 1982م، ص467.

[4]-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص467.

[5]-محمد كشاش، اللغة والحواس (رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات غير اللسانية)، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 2001م، ص30.

[6]- سورة طه، الآية: 121.

عزّ وجلّ: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيْهِ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِين﴾[1] وتتواصل المأساة مع أنبياء الله ورسله، وعلى سبيل الذّكر لا الحصر، مع سيّدنا نوح عليه السلام، وغرق إبنه في الطوفان كما جاء في مُحْكَم التنزيل: ﴿ رَبِّي إِنَّ اِبْنِي مِنْ أَهْلِي، وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُ، وَأَنْتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِين﴾[2]، وكذلك مأساة سيّدنا يعقوب الذي أُصيبَ بالعمى من شدّة حُزنه على ابنه سيّدنا يوسف عليه السلَّام مصداقا لقوله: ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.[3]

إلى جانب مأساة سيّدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام حين ابتلي بذبحه بأمر من المولى عز وجل الذي فداه بذبح عظيم كما جاء في محكم التنزيل:﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾[4] وتتوالى مأساة الأنبياء والرّسل لتصل إلى قمتها وذروتها مع خاتمهم جميعا سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي عرف اليتم في صغره، والتكذيب، والتشريد في كبره في سبيل تبليغ رسالته المحمّدية، التي كابد من أجلها المِحن والأهوال والإحِنْ في شِعَاب مَكَّة أين ابتلي فيها بموت الطَّاهرة خديجة رضي الله عنها، وموت عمّه أبو طالب اللّذان كانا مصدرا للأمان والحنان. لذلك سُمِّي ذلك العام بعام الحزن حيث حكا ثعلب عن ابن الأعرابي وقال: " ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين "[5] كما أنّه عليه الصّلاة والسلاّم قد حزن لفقد فلذات أكباده أبو القاسم وإبراهيم في معنى الحديث « وإِنَّا عَلى فِراقكَ يَا إبراهيم لَمَحْزونون»[6] ويزداد ألمه حين يهاجر بدينه إلى المدينة المنّورة، ويُفارق الوطن مكَّة المكرمة التي يَجْذِبه الشَّوق والحنين إليها، فإذا حدّث عنها يسأل المتّحدث أن يكف، ففي رواية قدوم أصيل الغفاري من مكة، وكان النبِّي صلى الله عليه وسلم يسأله: يا أصيل

---

[1]– سورة المائدة، الآية: 30.

[2]– سورة هود، الآية: 45.

[3]– سورة يوسف، الآية: 84.

[4]– سورة الصافات، الآية: 107.

[5]– الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، لبنان، مج18، ص137.

[6]– رواه البخاري ومسلم

كَيْفَ عَهِدت مَكَّة؟ قال: والله عَهِدتُها قد اخْضرّ جَناحُها، وابيَضَّت بَطْحاؤُها، وأَغْدَق أذْخُرها*، وأسِلت ثِمامها**، أمشّ سلمها***، فقال النبي: حَسْبُكَ يا أصِيل، لَاَ تَحْزِنّا[1]، كما كان هناك الكثير من المآسي والأحزان في حياته صلّى الله عليه وسلم إلاّ أنها لم تثني من عزيمته في سبيل تبليغ رسالته التي ابتدأت به، وأصبحت دولة يعتز بها الإسلام، لتصدح في كلِّ فج بأسمى معاني التّوحيد.

ثانيا: الجذور التاريخية للحس المأساوي:

1)الفكر اليوناني:

فالمأساة تاريخيا: لفظة يونانية المنشأ والمنبع والتي تعني لغة الماعز ارتبطت بالطقوس الدّينية التي تنتهي بذبح الماعز كرمز للمأساة ،وتحديدا بإله يدعى:" دينيزيوس" احتفاءً بأعياده[2]، ثم أصبحت تُطلق على المسرحيات التي تبعث الرُّعب بما تصوره من أحداث مُحزنة ويشيع فيها الحزن الناتج عن تصادم العواطف[3]، أما " المأساوي" ينبثق من المأساة باعتبارها فَنٌّ خاص من الفنون المسرحية لكونه قد بعث للوجود منذ القرن التاسع عشر نتيجة لعدم اكتفاء الإنسان بالوجود الذي منح له، ولم يجد سوى وهم وضياع.[4]

وبناءً عليه فإن فكرة المأساة سابقة على مصطلح المأساوية، فإذا كانت المأساة تتأرخ بالقرن الخامس قبل الميلاد فإن كلمة المأساوية قد بعثت لأول مرة في فرنسا سنة 1546م عند فرانسوا بيليه [5]، وإنّ هذه النظرة التاريخية تجعلنا ننطلق من الفلسفة اليونانية التي رأت في الخطيئة بداية نظام الكون، ومنها صدرت كل المتاعب والفجوات التي

---

*أذخرها: أي الأذخر وهو الحشيش الأخضر، وحشيش طيب الروح.

**آسل الثمام: أي بنت ونما.

***أمش سلمها: أمش بمعنى مسح، والسلم شجر من العضاه، ورقها القرض الذي يصبغ به.

[1]–يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، دار مجدلاوي عمان، الأردن، ط1، 2008، ص12.

[2]–محمد بوزواوي، قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني، الجزائر، ط1، 2003م، ص233.

[3] ينظر: الموقع الإلكتروني:http.s.//www.alanba.com.kw/ar/art.news/.../30-03-2017

[4] بحري محمد الأمين، المأساوية في الأدب العالمي، مجلة الأدب واللغات، جامعة الجزائر، الجزائر، العدد4، 2010م، ص17،18،19.

[5] المرجع نفسه، ص17.

تُنقص من الإنسان، وهذا ما قصده سقراط sokrat بقوله: " إن مقامنا عبارة عن سجن، واجب الإنسان أن يحرّر نفسه، ويهرب منه"، وفي هذا الإطار تدور أغلب المآسي اليونانية[1].

وعند "أفلاطون" aflatone فإنّها تقوم على أساس المحاكاة، وإنّ العاطفتين اللّتين تثاران بالمأساة هما الخوف والشَّفقة[2]، ويقول: إنّ شعراء التراجيديا (المأساة) وبقية الشعراء تقوم أعمالهم على المحاكاة، ويبدو لي أن هذا النوع من الشّعر يؤذي الأذهان التي تسمعه دون أن يكون له ترياق ضِدِّه، وهنا ينصَبُّ "أرسطو" Aristos مدافعا عن الشعر إذْ لا تَبقى العواطف المستثارة حبيسة في مكانها بل إن تفريغها يتم، بمشاهدة المأساة[3] الذي يعرّف هذه الأخيرة (المأساة) على أنّها " محاكاة فعل نبيل تام، له طوله المعلوم، بلغة مزّودة بألوان من التزيين تختلف وفقا لاختلاف الأجزاء، فتثير الرحمة والخوف، فتؤدي إلى التطهير من هذه الانفعالات".

كما يجدر الذكر بأنّ كلا من (أفلاطون و أرسطو) قد تطرّقا إلى موضوع الملحمة في " المأساة" لحالات الحزن لأنّ الغاية منها إثارة انفعال الأسى الفاجع، والعاطفة الإنسانية في النّاس، ليحل الحزن جانبا من شعر اليونانيين الذي فيه نغمات تقال عند موت الملوك للنياحة والمرثية.[4]

وبناء على ما تقدم فالعلاقة بين المأساوي والمأساة قد تكون علاقة اشتقاق فقط، وأسبقية في الأصل فيهما فالمأساة هي أحداث تراجيدية من أحداث الحياة تصيب المرء من حين إلى آخر، أمّا المأساوي يعني الأسى والحزن الوجودي وليس الأخلاقي؛ أي ليس

---

[1] حمة دحماني، قضايا النص الشعري الحديث والمعاصر، مجلة الآداب، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد105، 2009م، ص12.

[2] إحسان عباس، فن الشعر، دار الشروق، عمّان، الأردن، ط1، 1996، ص138.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] ينظر: أحمد عبد الرحمان عقراوي، الحزن في الشعر الأموي، مكتبة زين الحقوقية، بيروت، لبنان، ط1، 2016م، ص202.

تقديرا شخصيا لما يصيب الإنسان من أحداث، قد تستحق من البعض الأسى، وتستجوب الحزن فالحزن الوجودي يتعدّى المسائل الشخصية إلى تلك المتعلقة بالوجود كلّه، بعيدا عن الأحزان الظرفية التي لا تبصر من الأشياء إلاّ جانبا واحدا.[1]

و عليه فإنّ المأساة ترتبط بالحزن الأخلاقي من أحداث الحياة التي تصيب جميع النّاس، في حين فإنّ المأساوي يرتبط بالحزن الوجودي الذي يتعدّى المسائل الشخصية والظرفية إلى الوجود كلّه، وهي ليست عند عامة النّاس.

ويُمكننا الإشارة بأنّ المأساوي يُحيلنا إلى دلالتين: الأولى هي تلك المسرحية المأساوية التي عرفت عند اليونان (المسرحية المأساوية)، أمّا الثانية هي النفحة الأدبية، تلك النكهة التي تغلب على عمل أدبي، وتصدر عن مزاج الأديب، وتصوّره للعالم طريقته في التعبير، ومن النفحات الأدبية ما يليق بها الشعر، وهي النفحات الملحمية والغنائية والمأساوية لتكون المأساوية مشاعا فنّيا وأدبي في الرواية والقصيدة والموسيقى والرسم..[2]

لقد تلوّنت المأساوية بكل الفنون الأدبية كما أنّها لوّنت، وطبعت تاريخ الإنسانية جمعاء، وليس فقط عند اليونان بل إنّ مظاهرها الحزينة قد تجسّدت في أقدم الملاحم والأساطير[3]، ونجد ذلك في تاريخ " العراق" المجيد من خلال " ملحمة جلجامش (كلكامش)" حين تنبّه إلى النهاية الحتمية بعد أن اختطف الموت صديقه أنكيدوا فبكى بكاءً حارًا يملؤُه الأسى.

---

[1]–السعيد بخليلي، الحس المأساوي في الشعر الجزائري القديم (عصر الدولة الحمادية أنموذجا)، ماجستير(مخطوطة)، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2006م، ص9–10.

[2]– رضوان جنيدي، الحس المأساوي في شعر أبي الحسن على الحصري القيرواني، ماجستير(مخطوطة)، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2008م، ص25.

[3]– ينظر: سيف الدّين، ظاهرة الحزن في الشعر الحديث، مجلة جامعة البعث، البصرة، العراق، العدد10، 2015م، المج37، ص 101.

وهو يقول: إذا ما متُ أفلا يكون مصيري مثل انكيدوا: " ملك الحزن والأسى روحي، وها أنا ذا أهيم في القفا والبراري خائفا من الموت" [1].

إنّ هذه المأساة التي أصيب بها كلكماش دفعته إلى البحث عن الخلود ولكنّه لم يتمكن من ذلك، وأيقن أنّ الموت واقع لا محالة، وأنّه ليس للخلود إلاّ طريق واحد هو العمل الصّالح. فطابت نفسه بذلك واطمأنت.[2]

2) الفكر المصري:

كما أنّ المصريون (الحضارة الفرعونية) قد عرفوا المأساة من خلال الخوف من هاجس الموت هذا الأخير الذي دفعهم إلى تشييد المعابد والمقابر[3]. بل أنّهم وصلوا إلى درجة عالية في التفكير، وذلك من خلال المحافظة على جسم الإنسان "(التحنيط)"، كما أنّهم بنوا الأهرامات التي لا تزال شاهدة إلى اليوم، وحسب ما يبدو فإنّ دافع الخلاص لديهم كان شيئا إيجابيا، فالخوف من الموت جعلهم يَلِجُون عالم الطب والهندسة وأصبحوا أطباء ومهندسين.

3) الفكر الهندي:

أمّا الفكر الهندي القديم لاسيما الفلسفة الجينية فترى " أنّ الحياة الدنيا تعاسة مستمرة، وشقاء متّصل، نعيمها زائل، والعيش فيها باطل، نطمح فيها إلى الخير فننال شرّا، ونبتغي السعادة فتصيبنا الشقاوة، وحتى نموت ولم تنته حسراتنا !...[4]، إنّه التشاؤم في الحياة الذي يحمل الشقاء حتى الموت وفي كتاب بوذا المقدّس تتجسّد المأساة في

---

[1]– ينظر: خالد الجرار ورزان إبراهيم، شعرية الفقد (الحياة والموت في شعر الخنساء)، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2013م، ص31.

[2]–أحمد عبد الرحمان عقراوي، الحزن في الشعر الأموي، ص21.

[3]–ينظر: المرجع نفسه، ص23.

[4]–المرجع نفسه، ص23.

الحزن والألم ولا يفصل بينهما ،فهو يرى أن (المولد ("ألم")، والهرم "ألم"، الموت "ألم"، الاجتماع بغير المألوف " ألم" الافتراق عن المألوف "ألم" عدم ظفر الرجل بما يهوى "ألم"[1]

إن التفكير الهندي صحيح إلى حدّ ما فيما طرحه، فحقًّا، الولادة لا تحدث إلا بعد مخاض عسير يشوبه الألم والتوجع، وكذلك فإنّ الإنسان لمّا يشيخ ويكبر وتذهب قواه، ويدبُّ الضعف والوهن في جسمه فهذا ألم، أمّا الموت، فهو قمة الألم، إنها ثنائيات جدلية (الموت والحياة)، (الولادة، الهرم)، (الاجتماع، الافتراق)، فهذه الثنائيات تبحث عن الفرح والسّعادة، وعن الشقاء والتعاسة في نفس الوقت، وهذه سنة الحياة.

4)-الفكر العربي:

كما أنّ الإنسان العربي هو الآخر لم يكن في منأى عن دوّامة المآسي التي جعلته يُقاسي شتّى أنواع العذاب والمُكابدة سواء في الحرب أو الحب أو الحياة التي يعيشها بحكم بيئته الصحراوية القاسية، ومتاعب حِلِّه وترحاله، ولوعة حبّه، وشُجون فراقه لهذا الحبّ، وكذلك حروبه التي خاضها من أجل الثأر والانتقام والأدهى والأمّر أنّها تدوم لسنين طوال (حرب البسوس، داحس والغبراء... وغيرها) كلّ هذه المآسي تجعله يشعر بالتعاسة والأسى اللّتان يودعهما في عذابات القلب، ولواعج الصّب، وتشاء الصّدف-ونحن نتبتّل في محراب (الحرب والمآسي)-أن تلدّ أول قصيدة عربية بصورتها التي رست عليها في الشعر العمودي عشيّة حرب البسوس بين يدي المهلهل بن ربيعة الذي أعلن هذه الحرب ثأرا لدم أخيه كليب، ومنذ هذه اللحظة، كابدت القصيدة العربية الأحزان والمآسي شأنها شأن قائلها العربي حيث أنّها:

التحفت بالسواد والآهات.

و انفطّرت بالتشاؤم والمعاناة.

وتفوّهت بالآهات والزفرات.

[1]-المرجع نفسه، ص23.

على لسان المهلهل التي قلبت كيانه من الإنسان العاشق للخمر والنساء إلى إنسان عاشق إلى الفجيعة والأسى، وتولد الكلمات من رحم المأساة.

حيث أنّه يقول:

أهاج قذاة عيني الإذكار***هدوءا فالدموع لها انهمار

وصار اللّيل مشتملا علينا***كأنّ اللّيل ليس له نهار

وأبكي، والنجوم مطلعات***كأنّ لم تحوها عنّي البحار.[1]

إنّ تداعي الحديث في هذه العجالة عن تاريخ المأساوية يحيلنا إلى الحديث عنها عند الإنسان الغربي حتى ولو كان بشكل مقتضب.

5)الفكر الغربي:

كان تفوق العلم وسيطرة المادة، وسيادتها على ما سواها من نواحي النشاط البشري، والتفكير الإنساني التأثير في خلق قيم جديدة تختلف عن قيّم الحياة السابقة خاصة عندما داعب خيال الإنسان الحديث ذلك الفردوس الجديد الذي تسكنه آلهة صارمة هي القوى الاقتصادية والتجارية والتنافس الحربي والصناعي والتي أصبحت تتحكم في مصير الإنسان بلا هوادة ولا تريث، وأمام هذه الثورة الصناعية الجارفة ثار شعراء هذه المرحلة على القيّم الجديدة التي كانت اعتداء صارخ لا يغتفر، لذلك وجدت مشاعر القلق والاضطراب، والحزن والاغتراب ميدانا فسيحا للتعبير عن تلك المأساوية التي نُحاول الإشارة إلى بعض أربابها الذين طغت على حياتهم المادة وعلى قمة هؤلاء الشعراء نجد كل من: بطاريتس، و.د.ه لورنس وت س.اليوت فقد رفض كلّ منهم الحاضر، واستعاض عنه بأشياء أخرى، فتشبث (بيتس) بالأساطير الشعبية، بينما اعتنق (لورنس) فكرة الجنس، وتشبث (إليوت) بالكنيسة، ويتضح موقف ييتس من الحياة المعاصرة من خلال قصيدته المشهورة عودة المسيح حيث يقول:

تنطلق الفوضى من عقالها وتنتشر

[1]–السعيد بخليلي، الحس المأساوي في الشعر الجزائري القديم (عصر الدولة الحمارية)، ص11.

وينساب تيّار الأمواج ذات الدّماء الدّاكنة

وفي كلّ مكان يهوى حفل البراءة ويموت غريقا.

إلى أن يقول: أي وحش كاسر هذا الذي حان حينه أخيرا.[1]

يتضح لنا من خلال هذه الأبيات مدى السوء التي آلت إليه الحياة الجديدة، أما إليوت فإنه عبّر عن مأساة تحطم الحضارة الغربية المعاصرة[2] من خلال قصائده " الرجال الخاوون"، "الأرض والخراب"، ومن قصيدة الأولى نأخذ هذه الأبيات:

نحن الرجال الخاوون

نحن المكتضون

نحن الذين انتفخت أجوافهم بحشو فارغ.[3]

إنّ اليوت يعبّر عن تلك القلوب الخاوية الجوفاء بالفراغ النفسي والزيف الخادع أمّا قصيدة "الأرض والخراب" فهي عبارة عن لوحة (تأثيرية) ترسم لنا صحراء الحاضر التي تملؤها بقايا الماضي الأكثر تماسكا من الحاضر وهو يقول فيها:

ما هذا الصّوت المرتفع في الهواء؟ همهمة ثكلى تنوح؟

من تلك الجموع المدثرة تسير أفواجا؟

وتحتشد على السهول اللاّنهائية، وتتعثر في الأرض المتصعّدة.[4]

أنّ إليوت يعبّر عن الفوضى والاضطراب للحياة الجديدة المتعثرة في اللاّنهاية أما الشّاعر " إدغار آلا نبو" فلم يكن أقل رفضا من سابقيه، فهو يقول: إن الشعر لابد أن يكون حزينا إنّ الموسيقى والشعر لابّد أن يتقطرا دموعا و إنّنّا في هذه الأحوال نبكي لأننّا

---

[1]–محمد زكي العشماوي، الأدب وقيم الحياة المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)،1980م،ص25.

[2]–نصيب نشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الجزائر، 1984م، ص335.

[3]– المرجع نفسه، ص34–35.

[4]–المرجع نفسه، ص36.

نعجز عن أن نعانق المسرات العلوية للحظة قصيرة من خلال الموسيقى أو الشعر[1]، ويقول في إحدى قصائده المعنونة ب" إلى واحدة في الفردوس"

كلّ أيامي غيبوبة في غيبوبة

وكلّ أحلامي الليلية تتوجه

إلى حيث تلمع عينيك السوداء.[2]

فهو يتحدث عن امرأة أحبها ثم فقدها،ولم يبق لحياته معنى سوى الأحلام التي تغريه وإلى جانب هؤلاء الشعراء هناك أيضا لوركا" المتميّز بشعره الطافح بالصور واللّوحات " بابلوا نيرودا" "افرد موسيه" لا شيء يجعلنا كبارا كالألم، "ألفريد ريج شللر"[3]،" كما أن المأساوية قد اجتاحت مختلف التيارات الفكرية والفلسفية خاصة الوجودية التي تبّتلت في محرابها كثيرا صارخة عن مشاعر الألم والضِّياع والاغتراب، هذا الأخير الذي عبّر عنه "هيجل" بأنّ انفصال الفرد عن منظوماته الاجتماعية، فيحدث التنافر مع الذات وهو كذلك التنازل الطوعي عن الذات والفردية لصالح المجتمعات التي تعتبر نتاجا للروح الإنسانية كما يقول "شاخت"، وإنّ هذا التنازل (التضحية) في سبيل المجتمع أمر محمود ومطلوب لكنّه ليس كذلك حين يحدث بيع الذات في سوق الحياة، فهذا سلبي لأنّه يعمّق مأساة الإنسان وهذه هي نظرة "روسو"[4].

كما تأثر الوجوديون بالنظرة التشاؤمية عند " شونهور" حول مشاعر القلق الضجّر والملل التي تكشف لنا عن الوضع البشري في جوانبه المعتمة حيث يقول: نحن نشعر في كلّ لحظة بأنّ جذور الشّر متأصلة في أعماق الوجود لأنّ الحيوان يتألم والإنسان يشقى

[1]-إحسان عباس، فن الشعر، ص55-56.

[2]-المرجع نفسه، ص57.

[3]-ينظر: نصيب شاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص335.

[4]-رمضان حيوني، الاغتراب في شعر محمد الماغوط، دار الأيام، عمان، الأردن، ط1، 2015م، ص27-28.

والعالم يفنى والوجود كله[1]، ويعتبرون أنّ الزمان وعاء كل الشرور لأنّه يتمخض عن كل ما يحيط الإنسان من أحداث فيؤدي بالإنسان نحو التّوجع والتألم من تعقّد الحياة وتشابك مظاهرها كذلك الموت فإنّ "هيدجو" يصفه بالهَمْ الإنساني وهو حدّ فاصل بين الحياة وسجونها[2].

لقد نعى إليوت الحضارة الغربية، فوصفها بأرض الخراب نتيجة الحياة الجديدة التي سلبت الماضي وأصبحت هي الحاضر والمستقبل، أمّا " إدجار ألان بو" فإنّه يؤكد على أن يكون الشعر حزينا يتقطر دموعا وألما، ولم يختلف كثيرا الوجوديون عن هذه المظاهر المطبوعة بالأسى والقلق والاضطراب والتشاؤم والاغتراب.

فمهما اختلفت ينابيع التيارات الغربية وتباينت مجاري مواقفها الفكرية؛ فإنّها جميعا تصبُّ في بحر المأساوية المكدّر بالعذاب والآلام والأحزان والشقاء....

كانت مسحة موجزة؛ حاولنا فيها الإلمام ولو بطرف خفّي النَّظر في أغوار المأساوية وبحورها البركانية، المتفجرة بالآلام، المتّفجعة بالأسقام على مسرح الأيام تتندى بالزّفرات، ناطقة بالآهات على بياض الصفحات.

ثالثا: مستويات ودواعي المأساوية:

لقد عبّر الشاعر القديم عن أحزانه ومآسيه بطريقته، بحيث أنّه يفقد عزيزا، فإنّ هذا يكون مدعاة للحزن والرثاء بقصائد تقطر ألما وحزنا منها الخنساء في رثاء أخيها صخر، جرير في رثاء زوجته، مالك بن الريب في رثاء نفسه وصورة المر كحال المتنبي في وصف الحمى، وفي ذكر العيش مثل ابن زريق.....وغيرها

فعند هؤلاء الشعراء لا تكون المأساوية طاغية مستقلة في ذلك الاستشعار، وهنا القصيدة أقرب إلى قصيدة مناسبة أو الحدث فقلما تطغى على العالم النفسي باستثناء

[1]–كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم (دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب) دار المطبوعات الجامعية، 2008، ص12.

[2]–ينظر: المرجع نفسه، ص12–13.

شاعر المعرّة، وهذا عكس الشاعر العربي الحديث والمعاصر؛ حيث أنها تتواصل وتستمر، وخاصة في العصر المعاصر الذي يزداد قتامة وسوداوية في عالمنا هذا كثير التغير والتبدل، على ما انجرت عليه العولمة، والتغريب والتجنيس،و الترهيب و التعذيب، و التهويد..الخ من الآثار السلبية على الإنسان العربي الذي يتخبط بين ما هو عربي أصيل أو غربي دخيل، ووجود ذليل، ومستقبل عليل بأوجاع العصر، وآهات النفس.

فلم تعد الظاهرة المأساوية آنية ترتبط بأسباب وقتية، عرضية تتعلق بالشاعر فتدفعه إلى الحزن والبكاء، كما كانت له أسباب أخرى للفرح على حدّ قول " عزّ الدّين إسماعيل":."الغالب عند حدود الوجه الواحد، فإنّ هو رأى الوجه المطرب طرب، ورأى هو الوجه المحزن حزن"[1]، ولم يعد شعرنا الحالي مقتصرا على قصائد بعينها. تحتوي غرضا شعريا مستقلا كغرض الرثاء بل صارت المأساوية صورة معنوية تدخل في بنية العديد من القصائد لدى الشعراء " فلم يعد الناصع وحده، والقاتم وحده، وإنّما هما ممتزجان[2]، فالإنسان في قمة سعادته، وقهقهته التي تتعالى يقول(خيرا) لأنه يدرك أنّ عتمة الحزن سوف تفاجئه في أيّ لحظة، وهو حتّى في قمة حزنه يعرف أنّه لابد لِلَّيل أن ينجلي والقيد أن ينكسر، ويطلّ فجر الضوء والعصافير التي تجلب في تغرديها الأمل، والشمس التي تملئ الكون فرحا وسعادة[3].

لقد طغت الظاهرة المأساوية في شعرنا الحديث والمعاصر في معظم النتاجات الشعرية حتّى أصبحت علامة بارزة له، فهي سمة متميّزة لها حضورها، وتداخلها، ولكنّ لابّد من معرفة المستويات الدّالة عليها والتي تفترش أرضها، وتلتحف سمائها، وتغتسل

---

[1]–عز الدّين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر(قضاياه وظواهره الفنّية والمعنوية)، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1979، ص353.

[2]–المرجع نفسه، ص353.

[3]–ينظر: المرجع نفسه، ص353–354.

ببراكينها، وتتغذى من لظى نيرانها ولهيب أسقامها، كذلك معرفة الأسباب الباعثة عن وجودها:

1-المستويات:

المأساوية مستويات تأتي تبعا للحالة النفسية للإنسان، وقدرة المرء على مواجهتها، والوسائل المستخدمة في ذلك. ومن هنا يقتضي منّا الأمر الوقوف عند مفردات المأساوية التي اختلفت في اللّفظ وتقاربت في الدّلالة، ومن تلك المفردات التي كثر ورودها:

1-1-الحزن:

وهو من أقوى وأعمق المفردات لذلك نحاول الوقوف مطولا نوعا ما:

1-1-أ) لغة:

العين ؛أقدم معجم لغوي في التراث العربي يبين انَّ :الحزن إذا ثقلوا فتحوا، وإذا ضموا جفّفوا، ويقال أصابه حزن شديد، كما أوردها بمعنى الأرض والدّواب وما فيه خشونة[1].

أي أن النفس تحزن عندما تغمرها خشونة الأرض والدّواب بمعنى كل شيء صعب المنال، وبعيد الطلب في هذه الأرض.

1-1-ب) اصطلاحا:

يعرّفه فاضل عاقر « هو حالة انفعالية تتصف بمشاعر غير سارّة، وتعبر عن ذاتها بالتأوه والبكاء، وقلة الميل إلى تحريك العضلات»[2]، من خلال التعريف يقدم لنا فاضل عاقر بعض مميزات الحزن، واصفا إيّاه حالة نفسية يطبعها البكاء والآهات والإيماءات ويقول عنه "الماغوط": " أعرف أنّ الحزن يولد مع الإنسان العربي ويظّل معلقا في عنقه كما يعلق القفص في عنق العصفور...وأنا من النوع الذي يملئ هذا

[1]-الخليل ابن أحمد الفراهيدي، معجم العين،مادة (حزن)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، مج4، ص313.

[2]-السعيد الراوي، ظاهرة الحزن في شعر شاكر السيّاب، ماجستير(مخطوطة)، جامعة باتنة، الجزائر، 1986، ص27.

القفص بدموعه...وما أعرفه أنني لم أصنعه، بل صنعه الطّغاة، صنعه التاريخ، صنعة الفقر[1].

إن معاناة الماغوط النفسية الحزينة هي صرخة عربية؛ الواقعة في الأسر والظلم والاستبداد، تتجرّع مأساته وآهاته لتملئ جدران ذلك الأسر(القفص) دمعا، بل دما من فلذات أكبادها إنّها صرخة في وجه التاريخ الممزوج بالخيانات والتآمر، وهي صرخة في وجه الطغاة الذين سلبوا الأرض والبسمة، والأمل، وزرعوا، القمع، والتسلط، والسجون والمنون ويذكر " عائض القرني" أنّ الحزن خمود لجذوة الطّلب، وهمود لروح الهمّة، وبرود في النفس، وهو حمّى فشل جسم الحياة، ولا مصلحة فيه للقلب، فأحبّ شيء للشيطان أن يحزن العبد[2]" فالحزن سبب ومطبيّة لحضور الشيطان للإنسان حتى ينغص حياته وينقص من همته وعزيمته، فيصاب بالخمول والألم، ومن هؤلاء الشعراء الذين وردت هذه اللفظة في أشعارهم وهم كثر نجد الشاعر " عبد الوهاب البيآتي" قصيدة " شعري":

شعري جواد جارح، يعدو بفارسه الحزين

نحو الينابيع البعيدة

في الجبال

بفارس الأمل الحزين

ماذا على الشعراء لو قطعوا يد المتطفلين.[3]

أمّا الشاعر "خليل الخاوي" فإنّ كلمة الحزن تعطي بعدا، وتجسيدا المأساة الشرق التي أصبحت قدرا مفروضا عليه لتجسدّ الحراك والحياة في الموت نفسه من خلال نشيد " بعد الجليد": أمما تنفض عنها عفن التاريخ

---

[1]–رمضان حيوني، الاغتراب في شعر محمد الماغوط، ص116.

[2]– عائض القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط4، 2004، ص73.

[3]–ميشال عاصي، الفن والآداب بحث جمالي في الأنواع والمدارس الأدبية والفنية، منشورات المكتب التجارية، بيروت، لبنان، ط2، 1970، ص 96.

و اللعنة والغيب الحزينا

تنفض الأمس الذي حجّر

...تنفض الأمس الحزينا[1].

ويواصل في قصيدته عن معاناة الوجود العربي على وجه الخصوص في مظهره السلبي ليّغيّر عن معضلة الموت والبعث: عيثا كنا نصدُّ الريح

و اللّيل الحزينا.[2]

أما في قصيدته "لعازار" يحاول أن يصنع تفاؤلا في فم الحزن، لينزع هذا السّتار المظلم عن أكتاف الأمة العربيةقائلا:

تعني في الجرار.

وستار الحزن يخضر

ويخضر الجدار.[3]

الإنسان يتهدّد بالموت في كل وقت وحين، وكذلك يفعل الحزن بصاحبه الذي يأتيه دون سابق إنذار، هذا ما جسّده الشاعر " صلاح عبد الصبور" من خلال قصيدة " الشيء المحزن" فالحزن ينبعث من جبلة الإنسان، و يقول الذي سمي بالشاعر الحزين.

حزني غريب الأبوين

لأنّه تكوّن ابن لحظة مفاجئة[4].

---

[1]– آمنة لعلي، تجليات مشروع البعث والانكسار في الشعر العربي المعاصر (دراسة تطبيقية) ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون،الجزائر، 1995، ص26.

[2]– عبد القادر قيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعراء (دراسة)، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص436.

[3]–أحمد زكي كنون، المقدّس الدّيني في الشعر العربي المعاصر (من النكبة إلى النكسة)، إفريقيا، الشرق، الدّار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 2006، ص145.

[3]–كاميليا عبد الفتّاح، إشكالية الوجود الإنساني (دراسة نقدية تطبيقية الشعر الواقعي والحداثي)، دار المطبوعات الجامعية، إسكندرية، مصر، د.ط، 2008، ص 52.

وكذلك الأحزان طفحت دواوين الشاعرة " نازك الملائكة" خاصة: عاشقة الليل، حفار القبور، التي كانت مفعمة بالأحزان زاخرة بالآلام، وهي حديث قلب منكوب عن الوطن خاصة في قصيدة النهر العاشق التي قالتها حين فاض نهر الدجلة وأغرق بغداد.

أين نغدو، وهو قد لف يديه
حول أكتاف المدينة
أنّه يعمل في بطئ، حزم وسكينة
ساكبا من شفتيه
قبلا طينيّة غطّت عينا الحزينا[1].

ح: ز: ن:

حبر على أضرحة الأحياء زعزعة نفوس الأشقياء نغمة على أوتار
حمى ليل ماطر تحطم الأعضاء زمجرة أيادي البخلاء الزمن الحزين
حمقا يتجرعه الأذكياء زلزلة قلوب الأوفياء نسيم يهب على مرافئ السنين

استفاضت رنات كلمة الحزن في أشعار الشعراء حتى أصبحت سمة بارزة، ودّالة على العصر لحدّ الثمالة، بل إنّ زجاجة الحزن ملئت الكأس، وفاضت لتصبّ في بحور المأساوية وهذا لأنّ الحزن من أقوى الانفعالات النفسية على الإنسان، وأشدها وقعا وعلى هذا الأساس كانت لنا هذه الوقفة المتأنية في محراب الحزن حيث أننا تبتّلنا على أبواب عتباته، ولم نصل إلى أعماقه وحاولنا أن نقتطع قشدّة من تلابيبه المحترقة بالألم والأسى، ونحاول أن نتّعرف على مفردات أخرى تصبّ في بحر المأساوية ولكن بشيء يسير كما يقال فقط من خلف الزجاج.

1-2) الأسى:

وهي تعني الحزن،[1] أي حزن على كل شيء يفوت[2]، وقد وردت في قول الشاعر " عز الدّين المناصرة" من خلال قصيدة " القدس عاصمة الجذور"

[1] عز الدّين إسماعيل، الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص82.

ومن أنبل العائلات

في الزنازين، كن تكوّرن ليلا

في عذاباتهن نواح خفيّ

ورغم الأسى صابرات[3].

كما وظف الشاعر " وليد قصاب" من خلال ديوان " أشعار من زمن القهر"

نكثت جراح

حفرت أخاديد الأسى[4].

أمّا الشاّعر " أحمد سويلم" الذي فوجئ بهزيمة العرب على كثرتهم، وانتصار الإسرائيليين على قلتهم وهذه خيبة كبيرة لأن تصير العرب جثة بلا حراك قصيدة " لن أعيش مرّتين":

السّحب في عراكها لا تمنح المطر

ودربي العنيد يستبيح ذلة الحياة

بروقه تشقّق الشّفاه بالدموع، بالخضوع بالأسى[5].

1-3-الهمّ:

هو من الحزن ما يذيب الإنسان[6]، ويوجز معناه الغزالي بقوله:الهم وهج ساجور والنفس[7] وهذا الشأن يقول الشاعر " عبد القادر المازني":

غيّم الهّم على صدري المشوق.

---

[1]-الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، مادة اسى،المج1، ص71.

[2]-أحمد عبد الرحمان عقراولي، الحزن في الشعر الأموي، ص13.

[3]-أوس داواود يعقوب، ديوان القدس (من أجمل ما قيل عن الأشعار في مدينة القدس)، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط1، 2009م، ص69.

[4]-رابح بن خوية، جماليات القصيدة الإسلامية المعاصرة (الصورة، الرمز، التناص)، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2013، ص132.

[3]-حسين علي محمد، من وحي المساء (مقالات ومحاورات)، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، دط، دت، ص132.

[6]-الخليل بن أحمد الفراهيدي، المج4، ص18.

[7]-أحمد عبد الرحمان، عقراوي، الحزن في الشعر الأموي، ص 18.

يا صديقي.[1]

ويقول الشاعر الفلسطيني إدمون شحادة عن القدس في قصيدته " مدينة الآمال والآلام:

ومن عيونها أضاعت الكروم

وعنفوان صدرها

بعثره البكاء والهموم[2].

1-4) الخوف:

-تُجمع المعجمات العربية على أنّ الخوف هو الفزع، وضّده الأمن والإنس[3]، يقول المولى تبارك وتعالى:

﴿ وَإِنْ اِمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾[4] وقد وردت في أبيات الشعراء منهم الشاعر السوري " مظهر الحجّي" في ديوان " نفوس بالجنار":

ها أنا ذا ألف بحصّة خوفي

من فمي الملجوم زمانا

وعلام أخاف...،

وممّ أخاف؟

مادام الفقر زّمني

ويحاورني...ويحاصرني

فأرا مات بداء الجوع وداء القلب.[1]

---

[1]

[2]-أوس داوود، يعقوب، ديوان القدس، ص83.

[3]- جليل حسن محمد، الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام، دار دجلة، عمان، الأردن، ط2، 2009م، ص19.

[4]-سورة النساء، الآية: 128.

أمّا الشاعر الغاضب السّاخط عن أمته العربية " نزار قباني" التي نامت ولا تزال تنام في سبات عميق، هاهو ذا يطلب من أطفال الحجارة أطفال غزة أطفال يحرّرا منهم من عقد الخوف، والتقاعس والتخاذل حتّى يكفوا عن النوم ويستقضوا في قصيدة " الغاضبون":

حرّرونا من عقد أخوف فينا

واطردوا من رؤوسنا الأفيون

لا تخافوا موسى....ولا سحر موسى

واستعدوا لتقطفوا الزيتون

إنّ هذا العصر اليهودي وهم

سوف ينهار ولو مكنا اليقين.[2]

1-5)الرُّعب:

وهو الخوف الشديد الذي يؤدي الأحزان والمآسي على ما فات وما سيحدث وهذه بعض الكلمات التي أوردها جاسم الرّصف حين تكلم عمّا يرعبه قائلا: ترعبني الأماكن المظلمة، أرى أغوارها السود أشباحا، ولم أشعر بالخجل من رعبي، و اعترفت به لأمي و لأبي، والأصدقاء الذين كانوا يرصدون خوفي في الظلام، والدماء والشرطة والصرخات واللصوص والعناكب.[3]

ويعبر عن الرُّعب خليل خاوي الإنسان الرافض لكل هزيمة، القوي الحساسية والرافض للانحطاط والإحباط الذي ابتليت به الأمة العربية الذي قلب حيائه إلى يأس غامر، وحزن ورعب يتملكه في كل وقت وحين، إدامته العربية

كيف يحييني ليجلو

عتمة غصت بها أختي الحزينة

---

[1]-عصام شرتح، جمالية التكرار في الشعر السوري المعاصر، دار رند، دمشق، سوريا، ط1، 2010م، ص394.

[2]-نواري سعودي، أبو زيد، جدلية الحركة والسكون (مقاربة أسلوبية لدلائلية النبّي في الخطاب الشعري عند نزار قباني " الغاضبون" أنموذجا، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2009، ص11-12.

[3]-عبد الحق ميقراني، شعرية شعرية الحرب وعنف المستخيّل، دار وليلي، مراكش، المغرب، ط1، 2008م،ص30.

***

دون أن يسمح عن حضّي

الرعب والرؤيا اللعينة.[1]

1-6)الأسف:

الحزن الشديد والألم والندم[2]، وهو المبالغة في الحزن والغضب، كما ورد في قوله عزّ وجل:﴿ لَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانٌ﴾[3]كما يعبّر عن هذا الأسف الشاعر " محمود محمد إبراهيم" عن أمته التي خدمت، وقواها التي خارت وعزيمتها التي استكانت في أبيات تقطر ألما وتوجعا.

على ما حلّ بالأمة الإسلامية من تخاذل من خلال قصيدته" صرخة من الأقصى"

قم ياصلاح أيقض همة خدمت**واستنقذ البيت مما كاد يفنيه

يا قلب وأسف على قوم رغباتهم**تنسيهم المجد من لهو وترفيه

مسري الحبيب يناديكم وليس لكم**عذر وقولوا سوف ننجيه.[4]

أمّا الشاعر "أحمد مطر" الذي رمى بنفسه في دائرة النّار في أحضان السياسة حيث لم تطاوعه نفسه عن الصَّمت ولكنّه في هذه الأبيات يتأسف للقدس الشريف بكلمة أخرى بدل الأسف قال معذرة: يا قدس يا سيّدتي معذرة فليس يدان

وليس لي أسلحة، وليس لي ميدان

كلّ الذي أملكه لسان

والنطق يا سيدتي، أسعاره باهظة والموت بالمجان

أقول نصف كلمة، ولعنة الله على وسوسة الشيطان.[1]

---

[1]-أحمد زكي كنون، المقدّس الدّيني في الشعر العربي المعاصر،ص151.

[2]-أحمد العابد وآخرون، المعجم الأساس، عالم الكتب، القاهرة، مصر، دط، 1989م، ص139.

[3] -أحمد عبد الرحمان عقراوي، الحزن في الشعر الأموي،ص14.

[4]-أحمد إسماعيل عبد الكريم، القضية الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة الرواق، عمان، الأردن،ط1، 2015م، ص163-164.

1-7)اللّهف:

هو الأسى على شيء يفوتك بعدما تشرف عليه أي بمعنى التّحسر[2].

وهاهو الشاعر الفلسطيني الذي يتّحسر وبلهف على وطنه، برهان الدّين العبوشي في قصيدة " ألهفي على القدس":

يا لهفي على القدس شريف***قد عاد كالشبح المخيف

الصخرة الغراء تندب*** والقيامة كالخريف

دار الزمان عليهما***وعدا على العز المنيف.[3]

وهناك ألفاظ أخرى صالت وجالت في بحر المأساوية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: الموت، الجرح، الصراخ، البكاء.

ولأنّ النتاجات الشعرية طفحت منها ارتأينا أن نمثل بها في بعض الأبيات لبعض الشعراء.

1-8)الموت:

الشبح المخيف بل الحقيقة التي نرفضها ونحاول نسيانها لأنّه لفظة مزعجة وشاقة على الشّفاء،بل كل من يسمعها يتعوذ منها، إنّه الموت المروِّع الذي لا يستأذن أحد ولا يقرع بابا، ولا يمنعه حاجب ولا حصانة، ولا يترك تاجا ولا ملكا لأنه باعث الحزن، والأسى، والحسرة والدموع، والآهات والزفرات التي تبقى قابعة فينا حتى الممات.

وقد ذكر الشعراء الموت بمرارة حارقة سواء عند فقد عزيز، وحتى أنفسهم وهم قابعين في المستشفى، ينتظرون خطواته الوئيدة، التي لا يعرفونها متى، تعصف بهم، وخير ما نمثل به هو الشاعر الفلسطيني، الذي لم يكتب سوى عن الموت،بل إنّ عناوين قصائده عناوين جنائزية معلنة للكفن، وطالبة لحفر القبر، كيف لا هو الذي تنبأ بموته وهذا ما

---

[1]– أوس داوود يعقوب، ديوان القدس، ص177.

[2]–أحمد عبد الرحمان، عقراوي، الحزن في الشعر الأموي، ص18.

[3]–أوس داوود يعقوب، ديوان القدس، ص88.

يعدّ نبوءة شعرية فاجعة[1] لشاعر يرى علامة موته تلوح في أفقه، فهو الذي بثّ إشارات وإيحاءات الموت في كل ما هو متاح من فعاليات الكتابة ومساحتها، وهو بذلك نتيجة إلى موته الموعود بكل بسالة وخوف ووجل[2]. ولنقف عن بعض عناوين قصائده: عائلة المشاة، جبان أنت، المصلوب، الخيبة الوداع، الموت والعنان، ما يحكيه الموتى، الموتى، الموت رفيقي.... وغيرها إنّها عناوين وإيقاعات جنائزية لشاعر أطلقت عليه اسم شاعر الموت إنّه الشاعر محمد القيسي.

وفي قصيدة " الوقوف في جرش" ذات الحضور المكاني يتمظهر الموت ضمن سلسلة من الأسئلة الملتهبة، ولا تجد أجوبة لأنّها انتحرت قبل موت الشاعر:

ألست حبيبي !
فكيف إذن يا حبيبي تموت
أموت !
تراني أموت
ولا أزهر شتلة التبغ
أو في حقول الذرة
تراني أموت !
ومازال ينبض صوت الكمان
بما يلهج العاشقان
تراني أموت ولا مغفرة
تراني أموت.
ولا ألقي بأحد.

[1]–محمد صابر عبيد، سيمياء الموت تأويل الرؤية الشعرية(قراءة في تجربة محمد القيسي)، دار تينوي، دمشق، سوريا، د.ط، 2010م، ص13.

[2]–ينظر: المرجع نفسه، ص 15.

تراني أموت

ولا قبر لي مثلما تعرفين.[1]

أمّا الشاعر الآخر الذي لم يكن أقل حظا من سابقه، هو الآخر انتظر الموت.

مثل: أزهار الباقة: كل باقة، بين إغماءة وإفاقة، تنفس مثلي بالكاد ثانية[2].

إنّه الشاعر "أمل دنقل" الذي يظهر دال الموت عنده كثيرا إثارة عند موت أمتة، وأخرى عند موته حيث يقول في ديوانه " العهد الآتي" قصيدة "أغنية الكعكة الحجرية"قائلا: أيها الواقفون على حافة المذبحة

أشهروا الأسلحة.

سقط الموت وانفرط القلب كالمسبحة

***

والدّم انساب فوق الوشاح.

المنازل أضرحة.

فارفعوا الأسلحة.[3]

ويظهر الموت جلّيا في قصيدة " الموت في الفراش":

أموت في الفراش...مثلما تموت العير.

أموت، و النّفير.

يدق في دمشق.

أموت في الشارع: في العطور والأزياء.

---

[1]–محمد صابر عبيد، سيمياء الموت، ص59.

[2]–محمد سليمان، الحركة النقدية حول تجربة أمل دنقل الشعرية، دار اليازوري، الطبعة العربية،270، عمّان، الأردن،2007، ص56.

[3]–أميرة عبد السلام زايد، جدلية الشعر والتربية (القيم التربوية في شعر أمل دنقل)، دار العلم والإيمان، دسوق، مصر،2011م، ص88.

أموت، و الأعداء[1].

وهاهو شاعر آخر شاعر (فلسطيني) كان الموت يترصده في كل مكان في وطنه، في المنفى، وعلى فراش المرض ومن بني صهيون يخافون كلماته بل برصاصاته التي كانت تؤرقهم في كل حين إنّه شاعر الثورة الفلسطنية " محمود درويش" إنّه العابر بين لعبة اليوميات، ووقار الأزمنة، فعرف كيف يبتعد حين يجب وبطل حين تستدعي الضرورة، فرسم بقلمه الهالة فوق رأسه، وباليّد الأخرى شقّ الحجر وحرّك صفحة البحيرة وأعاد تأليف الماء[2].

وهاهو يجسّد الموت من خلال قصيدته "يحبونني ميّتا":

يحبونني ميتا ليقولوا: لقد كان

منا، وكان لنا

سمعت الخطى ذاتها منذ عشري

إلى أن يقول:فقالوا: ماذا تحب النبيذ الفرنسي؟.

قلت: لأنّي جدير بأجمل إمرأة.

كيف تطلب موتك.[3]

وفي قصيدة " عابرون في كلام عابر" :آن آن أن تنصرفوا.

ولتموتوا أينما شئتم ولكن لا لا تموتوا بيننا[4].

وفي أبيات أخرى تبدوا ذاته الشعرية في ذروة مقاومتها وقوتها وعنفوانها لمحاربة العنف إذْ تصور الموت كائن منفي ذليل لا يحسن سوى خطف الأطفال، ويتوّهم أنه ملك الملوك بينما هو أقرب إلى اللّص.

---

[1]–محمد سليمان، الحركة النقدية حول التجربة أمل دنقل الشعرية، ص166.

[2]–عبد الحليم حمود، محمود درويش (حناجر تلتقي لتكتمل الصرخة)، دار البحار، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص5.

[3]–المرجع نفسه،ص283،282.

[4]–المرجع نفسه،ص299،298.

وأيّها الموت التبس واجلس
على بلّور أيام كأنك واحد من
أصدقائي الدائمين، كأنك المنفى
حياتك، حياتك غير موتى. لا
تعيش ولا تموت وتخطف الأطفال

من عطش الحليب إلى الحليب. ولم
تكن طفلا تهزّ له الحساسين السرير.[1]

1-9) الجرح:

إنّ الجراح كثيرة وعميقة، ولا أقصد تلك الجراح المادية التي تصيب الإنسان لأنّه مهما طال الزمن فسوف تندمل ويشفى منها أو ربما تبقى بعض الآثار منها، لكن الذي أقصد هي جراح النّفس، جراح الأمة التي تخاط ولم تندمل جراح العرب الذين وقعوا في شراك الغرب؛جراح العرب الذين وقعوا في التفرقة والقهر والسّلب، وجراح أوطاننا العربية الذين أهدوها ربيعا بشمس حارقة نهارا وليلا قارص، دامس، وأمطار حمراء، وسحب سوداء، إنّها جراح فلسطين الأبية وغزّة الأبيّة يقول الشاعرمحمود درويش:

فأخرجو أرضنا
من برّنا...من بحرنا
من قمحنا...من ملحنا...ومن جرحنا.[2]

وهي جراح أخرى تنزف ألما إنّها جراح جعفر العلاّق قصيدة " حدّق بوجه من تحب":

[1]-شكري عزيز ماضي، شعر محمود درويش (أيديولوجيا السياسية والسيميولوجيا الشعر)، دار فارس، بيروت، لبنان، لبنان، ط1، 2013، ص111،110.

[2]-عبد الحليم حمود، محمود درويش (حناجر تلتقي لتكتمل الصّرخة)، ص299.

هنا كنت

كانت تزّج جراحا

وقصيدة" حين يبتدئ الحب": ينبض جرح من أفرشة الحذر المسحور.

يتساءل عن سرّ مفضوح

يتساءل عن شيح مقرور.[1]

1-10)المأساة:

هي تلك الكلمة الجامعة لكل ما سبق من مفردات والتّي تعتبر ينابيع تصب في بحر المأساة الحارق المحترق بلظّي تلك الكلمات، وقد استعملها الشعراء هي الأخرى في أشعارهم: " عبد الرحمان العشماوي"في قصيدة" ياأمة الاسلام"قائلا:

ما جرى يا أبتاه؟

ولماذا امتشق اللّيل حسام الرّعب

و لماذا جاءنا الفجر كئيبا

ينقش المأساة في كل الحياة

ولماذا أخرس الرّشاش والمدفع أصوات الشّداة

ولماذا احتبس الدّمع

ولم تحتمل النطق الشفاه

ما جرى يا أبتاه؟؟[2]

" والشاعر مصطفى محمد الغماري" قصيدة " قراءة في آية السين":

كم ملأ قلوبنا صديدا

وجعلوا وحدتنا بديدا

---

[1]- عليّ حداد، منطق النخل (استدعاء قرآنية في الشعر الحديث)، إتّحاد كتاب العرب، دمشق سوريا، (د.ط)، 2008، ص224،225.

[2]-رابح بن خوية، جماليات القصيدة الإسلامية المعاصرة، ص 91.

حتى اشرأب الكفر في حماة

وولول الأثير بالمأساة.[1]

و كذلك في قصيدة " قصائد مجاهدة" والتي أتت في معنى المآسي وفيها تزاوج مع الجراح :من نوره قد عزفت الكون قافية** *خضراء رغم المآسي والجراحات.[2]

أمّا الشاعر " أحمد سويلم" فإنه يعبر عن المأساة عن العجز للأمة العربية الذي أدى بها إلى الصّمت " الجوع والسؤال":

والصمت في عيوننا

يمّد في عيوننا الظلام

يحفر في بكائنا الجنون والندم

يحطم الإنسان.

يسحق السؤال.[3]

إنّ هذه المفردات هي غيض من فيض لأنّ هناك البكاء، النَّحيب، الذُّعر، البثُّ، الحسرة، الكآبة، الكرب، الكمد....الخ.

-وتأسيسا على ما سبق – من ذكر معاني المأساوية (المأساة) فإنّها لفظة طافحة استفاض بها الشعر الحديث والمعاصر، وهي لفظة عامة يندرج في بحورها يندرج في بحورها المتفجرّة بالآلام والآهات الكثير من المفردات، وهذا ما أثبتته المعجمات اللغوية، والنصوص الشعرية، التي حاولنا الاستشهاد بها، إلاّ أنه مع الوقفة المتأنيّة، والتدقيق قد تبين لنا أنّ هناك فوارق ليس من حيث دلالتها التي تحملها لأنّها كلّها مآسي يعاني منها الإنسان، ولكن من حيث أن تطول أو تقصر، وكذلك مدى التأثير والشّدة، وأقواها وأكثرها وقعا على حياة الإنسان مثل: لفظتي، الهمّ والحزن، فالأول يأتي للإنسان ويمتلكه في وقت

[1]-رابح خوية، جماليات القصيدة المعاصرة، ص195.

[2]-المرجع نفسه، ص77.

[3]-حسين علّي محمد، من وحي المساء، ص128.

معيّن ويزول أمّا الحزن فإنّه الأكثر وأشّد وقعا، وهو يبقى لمدة طويلة، وحده الزمن الكفيل بمعالجة تلك الأحزان خاصة بنعمة النسيان لبنّي الإنسان، وإنّ منهم من يبقى حزينا طول عمره.

وعليه فإنّ مستويات المأساوية المتمثلة في تلك المفردات الحارقة تصب في بركانها الأكثر احتراقا، لتزيد من لظّى حِمَمِه، وسرعة تفجرّه وحرقة شظاياه المتناثرة الملتهبة على حياة الإنسان في هذا الزمان الحارق المحترق.

2-الأسباب:

شاعت وانتشرت القصائد المأساوية شيوعا في شعرنا المعاصر وأصبحت سمة ،لها حضورها الدائم، وجدّيتها في الطرح، فأدى بنا ذلك نحو معرفة أسباب هذه الظاهرة الشعرية، والتي احتلت مساحة غير صغيرة من دواوين الشعراء.

بداية: فإنّ المآسي أمر طبيعي في سريرة الإنسان منذ الأزل، ولا يمكنه الإفلات من مِعصَمِها الحارق، ولكن في نفس الوقت يمكنه التغلب عنها بل إنّه يحوّلها إلى طاقة وشحنة إيجابية نحو التغير والنجاح والتألق، وخلق الإرادة، ويصبح للإنسان شأن عن طريق تلك المآسي التي تجرّعتها وخير دليل على ذلك مثلنا الأعلى سيّدنا صلى الله عليه وسلّم وأصحابه، رضوان الله عليهم فلقد أُوذوا في سبيل الله، وحُبسوا، وعُذِّبوا، وتفرّقوا في شعاب مكَّة وهُجِّروا من وطنهم جماعة هاربة بدينها إلى النجاة، ولكن بعد هذه المآسي التي كابدوها، يتحول الواحد إلى جماعة، والجماعة إلى دولة الإسلام، والتوحيد، وتقهر الروم والفرس، وتتفئ بنورها على ظلمات العالم كلّه.

إضافة إلى هذه الوضعية التاريخية المخزية، والمزرية التي عاشها عالمنا العربي حيث تكالبت عليه صنوف الاحتلال لأنواع شتى من الظلم والاستبداد والقهر، ليزداد سوءًا وتنوعا لمذاقاته في عصرنا الحالي نتيجة " لوضعية هزائمية خاضعة للنظم العالمية تبعا

لوضعه الاقتصادي واضطرابه السياسي، وتخلّفه العلمي، وخروجه من مضمار التقدم[1]، وكذلك الغزو الثقافي وما تفرضه العولمة وما يرتبط بها من تغيرات مع طغيان المظاهر المادّية ويضاف إلى ما سبق الاتصال بالغرب وذلك عن طريق التأثر بمآسي الشاعر الأوروبي، والتأثر المباشر وغير مباشر بقصائد ت.س.اليوت، وكينس وبودلير..الخ

وفي هذا الصدد يقول "صلاح الدّين محمد عبد التّواب"[2]: لقد نسوا أصالتهم، وراحوا يلجأون إلى وسائل دخيلة غريبة عن الفن والذوق والأصالة التي اتسم بها الشعر العربي "إنّ التأثر بهؤلاء الغرب يمكن أن يكون في شكل القصيدة الذي انفلت وشق عصا الطاعة والولاء على القصيدة التقليدية، ولكن لن يصل إلى حد التأثر بالمآسي الغرب، فهذا شيء مردود، خاصة في هذا العصر المعاصر والمحاصر من جهة ما تتّلقاه الأمة من ذّلة ومهانة على أيدي أعدائها، ومن جهة أخرى وهي مسبب أصيل في الأولى ما يعانيه المواطن العربي من قهر واستبداد في وطنه نتيجة لعلاقة عدم الثقة، بينه وبين السلطة".[3]

وعليه فإنّ العصر هو عصر التشتت والضياع والنكبات والعالم العربي هو الأكثر تجرعا لهذه المرارة خاصة من تلك النقمة التي حلّت على فلسطين، وتكاد تضيع في التهويد، إلى (الربيع العربي)، بل هو شتاء الزلازل وصيف البراكين والاحتلال والتقسيم لجزء كبير من قلب الأمة العربية خاصة العراق، ذهب العرب الذي ذّوبَ والتهب في بحر الطائفية والحروب الأهلية، وسوريا الفضّة التي غمرها السواد، وتحولت إلى نحاس بل قصدير يشوبه الصَّدى في بحر الدّم والقتال والدموع بين بعضهم حتى يصبحوا لقمة صائغة للأعداء فهذه الأحداث الأليمة، وغيرها تعدّ من أهم بواعث المآسي عند الشاعر العربي الذي تتفطر نفسه وتحترق كبده لما يعاني، وكأنّ الإنسان العربي قد فرغت زجاجة الآلام، والأسى عنده التي يسكر بها ليلا ونهارا –حتى أصبح عربيدا لها– ويذهب ويتأثر

---

[1]–كاميليا عبد الفتاح، إشكاليات الوجود الإنساني، ص29.

[2]–صلاح محمد عبد التواب، مدارس الشعر العربي في العصر الحديث، ص210.

[1]–ينظر: محمد سليمان، الحركة النقدية (حول تجربة أمل دنقل الشعرية)، ص26.

بأحزان الغرب الذين كانوا السبب في تلك المآسي لكل صنوف الضياع والشتات، وهذا أكبر ما يحزّ في قلب العربي، ومع هذا كلّه فإنّ هناك أسباب موضوعية وأخرى ذاتية، كالمآسي الشخصية والإحباطات الفردية، إلاّ أنّنا ركزنا على هذا السبب لأننا نتجرعه منذ زمن بعيد، والآن ،لا نعرف إن كان هناك المزيد.

إنّ تلك الأسباب سالفة الذكر وغيرها قد تظافرت حتى شاعت المآسي في القصائد العربية التي منحتها مذاقا خاص في الطرح والممارسة، ومن الأسباب الذاتية التي أشرنا إليها نجد المرض.

عند "أبو القاسم الشّابي" في قوله:

حفّ سحر الحياة يا قلبي الشاكي***فهيا نجرّب الموت هيّا[1].

وقصيدة " تحت الغصون":

قولي ما كنت تنشدين

فقالت: لضياء البنفسجي الحزين

للشباب السكران، للأمل المعبود

لليأس للأسى، للمنون.[2]

إنّه القلب الذي يشكو بالآهات، وملّ منها وأراد الموت أمّا في قصيدة " تحت الغصون" فإنّه جمع بين الأمل الأسى اليأس والسكر بالحياة التي أصبحت قاتمة في عينيه، وهو مازال في رعيان شبابه، شمعة تحترق.

كذلك نقف عند تجربة أمل دنقل الشعرية المريرة، من ديوانه الأخير" أوراق الغرفة 8" هذا الدّيوان الذي كانت الموت تشكل أكبر نسبة من قصائده أمّا الباقية فهي بكائيات

في غرفة العمليات

كان نقاب الأطباء أبيض

---

[1]–عزّ الدّين إسماعيل، الشعر العربي(قضاياه وظواهره الفنّية والمعنوي)، ص352.

[2]–أحمد سيف الدّين، ظاهرة الحزن في الشعر العربي الحديث، ص105.

لون المعاطف أبيض

ويقول: وهاأنا في مقعد القانط.[1]

وريقة.. أخرى..يسقط عمري من نتيجة الحائط.[2]

ويبقى مع تجربة الموت التي تحاصره وتهدد حياته في كل لحظة قائلا:

تتحدث لي الزهرات الجميلة

أن أعينها اتسعت –دهشة–

لحظة القطف

لحظة القصف

لحظة إعدامها في الخميلة؟[3]

ونلاحظ قمة اليأس من الموت واللاّجدوى من خلال ديوان "أوراق الغرفة8"قصيدة "إلى محمود حسن إسماعيل في ذكراه":

إنّ البياض الوحيد الذي نرتجيه

البياض الوحيد الذي نتوحد فيه

بياض الكفن.[4]

إنه الموت الفاجعة والمرارة والألم وهو يعدّ من أهم البواعث للتأسي عند الإنسان، فقط كلمة الموت تلّم بقلب الإنسان فما باله إذا كان ينتظره في كل وقت وحين مثل: شاعرنا " أمل دنقل"، فهو إذن باعث الرهبة خاصة عند أولائك الذين يُرثُون أنفسهم لحظة الاحتضار والانتظار معا، فإذا كان الموت ملازما دوما للإنسان ومنتصرا عليه، فإنّ تلك اللحظة التي تقطر ألما وحسرة وفرقة وحزنا هي؛ انتصار على الموت في حدّ ذاته وتخليدا

[1]–محمد سليمان، (الحركة النقدية حول تجربة أمل دنقل الشعرية)، ص52.

[2]–المرجع نفسه، ص 64.

[3]–محمد سليمان، (الحركة النقدية حول تجربة أمل دنقل الشعرية)، ص107.

[4]– أميرة عبد السلام زايد، جدلية الشعر والتربية، ص125،124.

لأسماء شعراء غرفوا في تاريخ الشعر حتى نطقت جوانحهم بتلك الأبيات الباكية والتي تعبّر حقا عن عمق ومدى المأساة.

ونحاول أن نعرّج ونقف، ولو من بعيد عند بعض الشعراء الذين كان واقعه العربي، وواقع أوطانهم يشكل جزء هام من بواعث الحزن لديهم، فتندّت قلوبهم قصائد تتقطر ألما وحسرة وصرخة على الوطن الصغير تارة وأخرى على الوطن الكبيرّ، وحتى في تعبيرهم عن همومهم الشخصية فهي كثيرا ما كانت تعبّر عن آلام الوطن والواقع العربي، ومن هؤلاء الشعراء الذين رفضوا واقعهم المرّ هو شاعر الإدانة والرفض " أمل دنقل"؛ حيث يتميز شعره بوعيه الحادّ بأزمته العربية، وبرفضه الأكثر حدّة لهذه الوضعية المأساوية[1]من خلال قصيد" مذكرات المتنبي "حيث يبّين سبب أحزانه عن ذلك المجد والحلم العربي في النخوة والعروب،هذه الأخرى تفرّقت وضاعت كما ضاع الحلم العربي يقول:

سألني كافور عن حزني
فقلت إنّها تعيش الآن في بيزنطة
شريدة كالقطة.
تصيح (كافوراه..كافوراه..)
فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية
وتجلد كي تصيح (وا روماه..واروماه..)
لكي يكون العين بالعين
والسنّ بالسّن.[2]

إنّها صرخة لصورة فلسطين، المرأة السّبية التي مثلها الشاعر أسيرة بين يدّي الاعداء والمفارقة الكبرى تحدث بين الصرختين المعتصمية (وا معتصماه) الذي كان حامي أمتهم

[1]–كاميليا عبد الفتاح، إشكالية الوجود الإنساني، ص31.

[2]–محمد سليمان، الحركة النقدية حول تجربة أمل دنقل الشعرية، ص115.

وشرف نسائها وبين صرخة المرأة لدى الشاعر (وا كافوراه) الميّت الضمير الذي لا يعنيه شيء؛ إنّها حقا الأيام تدور لكن في جهة الضّد.

وفي موقع آخر يحاول أن يصوّر أبناء الأمة المغلوبين على أمرهم؛ حيث إن السلطة السياسية سلبت منهم الإرادة وتركتهم جذوة خامدة ويا ليتها فيها جمر عساه يُشْعل تلك الجذوة من جديد، وقد وظّف في ذلك عنترة كمعادل موضوعي لأبناء الأمة المهزومة بأيدي ساستها وكذلك هنا هو يرفض التهميش والاستعباد من طرف السلطة مثلما هُمشَ عنترة يقول:

ظللت في عبيد (عبس) أحرص القطعان
أنام في حظائر النسيان
وها أنا في ساعة الطِّيعان
ساعة أن تخاذل الكمّاة...والرّماة...والفرسان.
دُعيت.
أنا الذي ما ذقت لحم الضأن.
أنا الذي لا حول لي ولا شأن.[1]

إنّه تصوير لواقع الأمة التي رضخت واستكانت لحتفها.

وبخصوص موقفه من معاهدة السلام من خلال ديوان "أقوال جديدة عن حرب البسوس" قصيدة " لا تصالح":

لا تصالح
...ولو منحوك الذهب
إنّها الحرب.
قد تثقل القلب.
لكن خلفك عار العرب.

[1]–المرجع نفسه ، ص27.

لا تصالح...[1]

إنّه الشاعر الذي ثار على الظلم، والزيف وكان صوت للحقيقة، إنّه صاحب القلم الذي عرّى الواقع وانفعل معه بكل شجاعة ضد السلطة.

ومن البديهي أنّ طبيعة المأساة تختلف في عمقها من شاعر إلى آخر وكذلك في وجهة تناولها، فإنّنا نقف مع الشاعر الحزين " صلاح عبد الصبور" القائل:

مرّت ليلتنا كي تسقط في الصبح ميّت

ومغنينا الأعمى ماتت أغنيته.

أتوهم أحيانا أنني أسمعها.[2]

أنّ الشاعر الذي ذاق مرارة البلد، والوطن العربي فكلّ أيامه ولياليه ميّتة بدون إحساس، وموسيقى لا تعزف فيها إلاّ نغمة الأسى المرتسمة على كل صبح وليل، وكذلك المرتسمة على قلبه؛ حيث تغزوه الآلام والأحزان فيقول في ديوان " أحلام الفارس القديم":

معذرة يا صحبتي، قلبي حزيني

من أين آتي بالكلام الفرح [3]

ويتّكلم عن ضياع الهوية العربية في ديوانه " رحلة في اللّيل" من خلال قصيدة " هجم التّتار" هذا العدد الذي دكّ حصون الأمة العربية، إنّه الدمار والموت والهزيمة والإبادة والانكسار الذي مُنيَ به العرب يقول:

هم التّتار.

ورموا مدينتنا العريقة بالدّمار

الرّاية السوداء، والجرحى، وقافلة مواتْ.[4]

---

[1]–أميرة عبد السّلام زايد، جدلية الشعر والتربية، ص 103.

[2]–عزّ الدّين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر (ظواهره الفنية والمعنوي)، ص352.

[3]– نصيب شاوي المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص412.

[4]–عزّ الدّين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، (وظواهره الفنية والمعنوية)، ص409.

وهاهو السيّاب الذي ليس أكثر حظا من سابقيه، فهو الآخر عاش تمزق الوطن، وتشرذمه، والفقر والحرمان في بلد يطفح بالنفط ويتحكم الجوع بأبنائه الذين دفعوا ثمن البترول وقت السيّاب ،وفي وقتنا الحالي، وفي قصيدته الملحمية الشهيرة تلك المرأة التي دفعها الظلم والفقر إلى التّكسب بجسدها لتوقد المصباح الزيتي لا ترى الزّوار، بل كي يراها الزّوار يقول:

ويح العراق أكان عدلا أنك تدفعين

سُهاد مقتلك الضريرة

ثمنا لملئ يديك زيتا من منابعه الغزيرة

كي يثمر المصباح بالنّور الذي تبصرين.[1]

أمّا " أنشودة المطر" تلك البكائية الرثائية المفجعة، للعراق حيث يلتحم فيها الشاعر مع أحزانه ومآسيه لكي يتساقط المطر، وما هذا الأخير إلاّ ثورة، والدّم والدموع ليصل الشاعر بالعراق في الأخير نحو الخلاص، من ذلك الكابوس الجاثم على صدرها لكن الشاعر يعالج قضيته بطريقة غزلية لتصبح العراق الحزينة هي تلك المرأة العاشق لعينيها اللّتان تضيعان بساعة السّحر وقت الضياع والوحشة وتحملان كلّ التناقضات (الموت والحياة معا)، وتصبح العراق أنشودة للمطر للثورة التي تعزف أوتار النغم الحزين، حيث يقول السيّاب:

عيناك غابتا نخيل ساعة السّحر.

أو شرفتان راح ينئ عنهما القمر.

فتغرقان في ضباب من أسى شفيف

دفئ الشتاء فيه ارتعاشه الخريف

والموت والميلاد والظلام والضياء

أتعلمين أي حزن يبعث المطر.

[1]– أحمد سيف الدّين، ظاهرة الحزن في الشعر الحديث، ص 105.

وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر

وكيف يشعر الوحيد فيه بالضّياع.[1]

وهاهو الشاعر" خليل حاوي" اللبناني المتذّمر من تلك البلاد التي يصفها بكربلاء حيث يقول:

بلاد تجيد كتابة المراثي.

وتمتد بين البكاء... وبين البكاء

بلاد جميع مدائنها كربلاء.[2]

إنّ الشاعر ساخط على تلك البلاد لا مكان فيها للفرح و السعادة،إنها مكان للمراثي إنّها كربلاء أي كل المدن العربية هي بؤرة للدم والألم الاقتتال حتى الزلال في يم المآسي هي بلدان طافحة بالحزن واليأس ومغمورة به حتى النّخاع.

كما تجّسدت نعمة الحزن عند الشاعرة " نازك الملائكة"، والتي تعدّ من أكثر الشعراء المتناولين لهذه الظاهرة منها قصيدة " حفارين":

طالما حفرا في التراب

حفر في الغيّاب

ربما حفر في شحور الخريف

طالما شوهدا يحفران

يحفران، يظلان في لهفة يحفران

وهما الآن فوق الثرى ميّتان.[3]

يبدو أنّ خيال الشاعرة خصب، وذهب بعيدا بثلاثية تدور حول الحفارين وهي (العمل، الحياة، الموت)؛ فمن أجل أن يعيشوا الحياة لابد من العمل، وفي زحمة الفقر

[1]–كاميليا عبد الفتّاح، إشكاليات الوجود الإنساني، ص41.42.

[2]–أحمد سيف الدّين، ظاهرة الحزن في الشعر الحديث، ص118.

[3]جاسم غالي رومي، لفظة الحزن وأثرها في شعر نازك الملائكة، مجلة آداب، البصرة، العدد60، 2012، ص 83.

وفقدان العمل كانت مهنتهما (حفر القبور)، إنّها المفارقة العجيبة والمعادلة الصعبة من مكان الذي يكسبون قوت يومهم فهم بأيديهم يخبئون فيه الموتى بحفنة من التراب، فهل يستطيعا أن يخبئاه عن أنفسهما؟ هي قسمة بينهم وبين الموت، في حياتهم يقبضون ثمن الموت، فهما يمثلان الموت في حدّ ذاته في كل لحظة، ولم يصبح مخيفا بل أصبح بالنسبة إليهم دفينا في رحم الأرض في كل أنات هذا الزمن الجريح، وهكذا يبقيان يتجرّعان كؤوس الموت حتى الثمالة فهم الأحياء الميتين.

و لنقف عند شاعر آخر، أحزنته قضيته، وحاصره منفاه، لذلك قرّر أن يتزوج القضية ويطلق المنفى على الصفحات ليبوح الكلمات التي تفوح بالكدمات، والآهات والأوجاع في بحر المأساة إنّه شاعر الثورة الفلسطينية " محمود درويش" من ديوان مديح الظّل العالي" يقول:

في وردة ترمى عليك من الدموع
ومن رغيف يابس حاف، وعار
وانتصر في آخر التاريخ
القمح مر في حقول الآخرين
والماء مالح
والغيم فلاذ، وهذا النجم جارح
وعليك أن تحيا وأن تحيا
أن تعطي مقابل حبّه الزيتون جلدك
كم كنت وحدك
لاشيء يكسرنا، فلا تغرق تماما
فيما تبقّى من دم فينا...[1]

[1]-شكري عزيز ماضي، شعر محمود درويش، ص43-44.

إنّها أوجاع المنفى، وآلام الغربة التي كان يتكبّدها الشاعر، ومن الديوان " آخر الليل" نجد قصيدة " كفر قاسم" إنّها المذبحة، إنّها الصرخة التي أطلقها مدّويا يشوبها نوع من الأمل يلتمع بريقه وسط المأساة:

كفر قاسم.

أنّني عدت من الموت لاحيا لأغني

فدعيني، استعر صوتي من جرح توهج

أنّني مندوب جرح لا يساوم

علمتني ضربة الجّلاد أن أمشي على جرحي

وأمشي..ثم أمشي.. وأقاوم [1]!

وهاهو عملاق آخر، من عمالقة الشعر الذي تألق اسمه عاليا، في سماء القصيدة العربية حيث أنّه تغنّى بالعروبة وكره، ومقّت الوضع النائم لحدّ السّبات لأمته، وكره الخطب العنترية والإعلام المتخلف، يقال أنّه كان شاعرا قاسيا على العرب إنّه الشاعر السوري " نزار قباني" وفي هوامش على " دفتر النكسة" يقول:

إذا خسرنا الحرب..لا غرابة

لأننا ندخلها

بكلّ ما يملكه الشرقي من مواهب الخطابة

بالعنتريات التي ما قتلت ذبابة

لأنّنا ندخلها

بمنطق الطبلة والرّبابة

السّر في مأساتنا

صراخنا أضخم من أصواتنا

وصيفنا أطول من قامتنا

[1]–نصيب نشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص441.

خلاصة القضية

توجز في عبارة

لقد لبسنا قشرة الحضارة

يوجعني أن أسمع الأنباء في الصباح

يوجعني

أن أسمع النباح.[1]

إنّه الوضع المرير الذي كان يعيشه الشاعر، بل يعيش على وقعه كل الجماهير العربي التي كانت تهفوا كثيرا كتلك الخطب العنترية، التي ألهبت فيها الحماس، و أيقنتها بالنّصر فما استفاقت على شيء سوى الهزيمة التي تجرها ذيول العرب، وهنا كانت المأساة حقا فلا صوت يذكر سوى الصّراخ والعويل، وانجروا حول الحضارة المقنعة، ولبسوا قناعها المزيف، فسقطوا في الهاوية.

وختاما لتلك القصائد الحزينة على قصيدة رثت القدس الحزين وتوّجعت لآلامه، إنّها قصيدة " زهرة المدائن" التي شاع صيتها وتغنّى بها الكثير من أبناء الأمة العربية، وهي للشاعرين الأخوين " عاصي ومنصور الرحباني":

واستشهد السلام في وطن السلام

وسقط العدل على المداخل

حين هوت مدينة القدس تراجع الحب

وفي قلوب الدنيا استوطنت الحرب

الغضب الساطع آت و أنا كل إيمان

الغضب الساطع آت سأمر على الأحزان

من كل طريق آت بجياد الرهبة آت

[1]–التهامي الهاني، نصوص وقراءات الوطن والمرآة (في شعر نزار قباني)، دار صامد المغاربية، صفاقس، تونس، ط1، 2004، ص123–124.

وسيهزم وجه القوة

البيت لنا والقدس لنا

أجراس العودة تقرع

أنا لا أنساك فلسطين

نمحو بالنّار النّار

أبواق أجراس تقرع قد جنّ دم الأحرار.[1]

لقد استفاضت نبرة الأسى، وطغى رنين التأسي كثيرا في الشعر العربي الحديث والمعاصر حتى طفحت بها قلوب القائلين، وتوجعت لها أفئدة السامعين وأصبحت لوحات ماطرة بالآهات تغمرها غيمات سوداء قاتمة بالطعنات وترسمها أيادي مرسومة بالضياع والشتّات المنصهر بأحلام الأيام والليالي حتى السُبات في متحف الأشباح والهموم، والأسى حتى الممات.

[1]–أوس داوود يعقوب، ديوان القدس، ص208–209.

الفصل الثاني

تجليات الحس المأساوي عند عبابسة حسان من خلال ديوان صرخة في وجه الموت

تجليات الحس المأساوي عند عبابسة حسان من خلال ديوان "صرخة في وجه الموت"

الإنسان لا يستطيب طعم السعادة إلا إذا ذاق طعم الأسى والأحزان، وهكذا أصبحت المآسي طريقا للسعادة، كما نجد ذلك عند الباحث صدقي إسماعيل تعقيبا عن أحزان المتنبي يقول "إن الألم ثمن رائع للمجد، وان الجهلة وحدهم ينعمون بمسراتهم... أما الرجل العظيم فإن فشله وأحزانه جبارة كنفسه"[1] وهنا أصبحت الأحزان مطية للمجد، وعليه فإن المأساوية جسرا للسعادة والمجد، وهذا ما يصبوا إليه كل إنسان، ولكن هيهات أن يكون كذلك بالنسبة إلينا فنحن لا ننظر إليه إلا كفوَّهة بركان لا نعرف متى تتفجر ويتطاير منها شظايا الألم والدموع، وفي الوقت نفسه نجهل متى يخمد هذا البركان، ورغم أن المآسي نار تتقد، وجراح تلتهب، إلا أنها أسالت الكثير من الحبر، وفرضت نفسها على الأعمال الأدبية كوجه كئيب يطل على شرفات القلوب الغارقة في الهموم، ولقد لقيت اهتماما في عصرنا الحالي، وهذا لا يعني أنها وليدته بل هي متجذرة، وضاربة في الأعماق منذ بدأ الخليقة حيث نجد الشاعر هو الأقرب في التعبير عن تلك الأنغام الحزينة المؤلمة في قلبه، لينطق بها لسانه أبياتا تقطر دمعا ودما في فضاء الشعر، هذا الأخير الذي يقول عنه عبد الله بن رواحة "إن الشعر شيء يختلج في صدري فينطق به لساني"[2] فإن كان الشعر يختلج في الصدر فإن المآسي تختلج في كل كيان الإنسان لأنها غيمة على الوجوه لا تمطر، ونار في الأكباد لا تتفطر، وإرادة في النفوس تتقهقر.

فهذه هي سمات المأساوية في عصرنا الحالي الذي ازداد قتامة وسوداوية، وأصبح يحمل استفهامات كثيرة تكشف الزيف وتسقط الأقنعة وحتى لا تتلاشى الأحلام، ولا تتحطم الآمال في مستنقع الدهاليز والظلمات ليخوض الشاعر من أجل ذلك معركة،

[1]– أحمد سيف الدين، ظاهرة الحزن في الشعر العربي الحديث، مجلة جامعة البعث، المجلد 37، العدد 10، 2015، ص 104.

[2]– أحمد علي فلاحي، الاغتراب في الشعر العربي، دار غيداء، عمان، الأردن، ط1، 2013، ص26.

وكفاحا من أجل تغيير صورة المآسي حتى تصبح طاقة ايجابية تشع بالأمل والحياة، وكذلك من "انتقاء وجه القبح من أديم الأرض ومن أجل ولادة جديدة".[1]

وعليه فان الشاعر يبث في طيات مآسيه، العزم والقوة من أجل التغيير وهذا ما يسعى إليه جل الشعراء في تلك القصائد الغراء، والتي تتقاطر دما ودمعا في بحور المأساوية، والشاعر الجزائري: عبابسة حسان واحد من هؤلاء الذين استوقفهم المشهد العربي المؤلم والممتلئ بتلك الهزائم، والانتكاسات المتلاحقة في هذا الواقع المرير، الذي نتجرع مآسيه في كل لحظة من هذا الزمن الأمر الذي جار علينا وقلب الموازين، وأشعل الدواوين بكلمات الأنين بعد أن كنا أعزة أصبحنا مهزومين في بحر الحنين إلى تراثنا المعين، هكذا إذا استفاضت قريحة الشاعر بالحزن والألم والحرقة والتحسر على ما آلت إليه الأمة العربية التي أصبحت بؤرة للمأساة وموطن لقتل الفرح كما يقول فايز حضور "شجون، فجرت أنهار أوجاعي، وأفراح حرمت مذاق نكهته فأدمتني...هاجسدي يئن"[2]

إذا هو الواقع العربي القائم على الضعف والاستكانة، والتخاذل والتشتت والتكالب على كرسي السياسة، والاتحاد حول بؤرة الدم الأهلية والطائفية التي يسقيها حكام العرب كل يوم، كأسا زعافا من أكباد فلسطين، والعراق، ولبنان، وسوريا، والسودان...انه زمن التزوير، والتدوير في الهوية التي أصبغت، وتقنعت بغير شخصيتها العربية بل بتلك الشخصية الغربية، ولكن هيهات سقطت الأقنعة كما يقول محمود درويش:

سقط القناع

لا إخوة لك يا أخي لا أصدقاء.

لا ماء عندك، لا دواء، لا السماء.[3]

[1]–محمد الهادي بوطارن، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، دار الكتاب الحديث، القاهرة،مصر، 2010،ص 48.

[2]–أحمد سيف الدّين، ظاهرة الحزن في الشعر العربي الحديث، ص104.

[3]–عبد الحليم حمود، محمود درويش(حناجر تلتقي لتكتمل الصرخة)، دار الهلال بيروت، لبنان، 2010، ص14.

لقد سقط ذلك القناع المزيف عن وجه الأمة العربية أمام شعب فلسطين، وانكشف عار الأمم والشعوب "ويفنى في هذا الجبل وجه النقاب الذي على كل الشعوب، والغطاء المغطى به كل الأمم يبلغ الموت إلى الأبد"[1]

"عبابسة حسان" طائر من طيور الوطن غرد على شجرة الحياة، وفتح جناحيه على قارعة الجرح لتطفح بحس مأساوي على أوجاع وهموم الأمة ويسير من خلاله في دروب الفاجعة فلسطين، ويكتب جرحها الدامي الذي كتم على نفسه، ولا يستطيع الصمت فيبوح به في محراب الشعر، هذا الأخير هويته، اسمه ولقبه، يغسل به جروح الأمة المعذبة يتدفق من رعشة الحياة، وبذور الأمل نحو شحذ الهمم، لتكشف الغمة، وتنار الظلمة لعل وعسى وربما تستفيق الأمة، فعواطفه كانت جياشة لم تقف عند بلد واحد، بل توزعت لتعيش مع أفئدة العرب، فهو الثائر على التخاذل، والخنوع، وذل الكبرياء لدى العرب، لتنساب حروف شعره مُدوية في سماء الغضب مُدَجَّجة باللَّهب لان الحروف في فمه بركان نابض بالأسى، والألم، وهكذا كان الحرف عنده:

الحرف إعصار تربى في دمي.
الحرف بركان يعربد في فمي
الحرف آلاف الجياع بأمتي
الحرف نار من سعير
الحرف وهم مستطير.[2]

إذن هي الأحداث التي تغتال أحلام الإنسان، وتسرق منه البهجة، والأمان لترمي به في أحضان الذل والهوان، ليعيشها الشاعر "حسان عبابسة" بكل أبعادها العربية، والقومية انطلاقا من فلسطين المسلوبة، وبيروت المخروبة، والعراق المنهوبة...بل انه يتعداها إلى الأبعاد، والهموم الإسلامية، بالوقوف عند الصومال والشيشان التي لقيت الموت والهوان

[1]–عمر أحمد الربيحات، الأثر التوراتي في شعر محمود درويش، دار اليزوري، عمان، الأردن، 2006م، ص336.
[2]– نصيب نشاوي، المدارسة الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص388.

تحت أقدام السوفيات، وهذه بعض من آهات أنفاس أمتنا الإسلامية المترامية الأطراف،حيث فقدت الرُّبان والمجداف، لتغرق بسفنها في بحر الدماء، والخلاف في زمن الموت والجفاف هذه امتنا الإسلامية التي كُبِّلت بالحديد والنار إلى حد الانهيار في أحضان التتار الذي يقول عنه "السياب" في قصيدته "مدنية السندباد"

هم التتار أقبلوا*** ففي المدى رعاف

وشمسنا دم*** وزادنا دم على الصحاف.[1]

إن الشاعر "عبابسة حسان" وقف مطولا في ديوانه: "صرخة في وجه الموت" عند القضية الفلسطينية، بل إنها طبعت تقريبا جل قصائده، وكيف لا تكون كذلك؟ إنها الهم العربي، والقومي، وحتى الإنساني، إنها الجرح الغائر في امتنا الإسلامية، وجناحها الذي ظل يقطر دما وألما منذ أن أصبحت رهينة في أيدي الغاصبين، وقدسه يبكي أمام إخوانه الصامتين السلب والتهويد من طرف الصهاينة الملعونين إلى يوم الدين كما يقول "محمد الأخضر السائحي"

في القدس في وسط اللهيب

تبكي، وتوغل في الحنين والنحيب

وتذيب في آهاتها شكوى إلى الله العظيم.[2]

كما أن الشاعر "عبابسة حسان" قد تبتل في محراب الاغتراب، والحزن والحنين والاضطراب باثا فيه زفرات الأنين والغياب، كما حركت نوازع الثورة لديه على الظلم الاجتماعي، وجعل من كلماته أعاصير لتحريك البركة الاجتماعية بما فيها من بؤس وفقر، هذا الأخير الذي لعب بأحلام الشباب نحو ما وراء البحار، فدفعوا أرواحهم ثمنا

[1]–أحمد سيف الدّين، ظاهرة الحزن في الشعر العربي الحديث،ص 13.

[2]–محمد الأخضر عبد القادر السايحي، من عمق الجرح الفلسطيني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 1989، ص21.

باهظا لأفواه الحيتان، ومِسْكُ هذه الوقفات تضرع للمولى عز وجل، واستشفاع لقدوتنا وسيد الخلق جميعا حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم متوسلا وشاكيا تلك المآسي والآلام.

لقد اتكأ على عرصات الماضي المجيد، وأستند إلى لوحات الحاضر البليد، وبين هاتين الواحتين، كتب قصائده، التي تنوعت بين الشعر التقليدي (العمودي) والشعر الحر، تدور في معظمها حول معنى متقارب عبر فيه عن هزيمة الأمة وانكسارها في وضع رهيب، يسوده الرعب، والتضاعف، والتخاذل كما طبعها البكاء، والشكوى على التقزم العربي، والتزييف والتفريق كما أن سؤال الاستفهام قد صال وجال في كل أركان القصائد، هذا إذا لم تكن الافتتاحية بسؤال حول تلك القضايا المقلقة،على رأسها الموقف العربي المُهين،والمتخاذل والمتكالب على بعضه البعض،وصمت الضمير انه سؤال المصير؟؟؟؟ معظم القصائد بكائية صارخة، وقلما يغرد فيها طائرا لأمل.

لينبئ بغدٍ أفضل،هذا الغد الذي يقول عند "محمود درويش" الغد هو هنا،أمامنا الآن يا صاحبي، عارٌ من الزمن،مرمى على حفرة، في انتظار رئة ميتا فيزيقية تغطي سوءة العابر"[1]، أما عناوين القصائد، فهي بكائية حزينة تنبئ عن المأساة التي يعيشها الشاعرفي وطنه العربي خاصة أيتام على مائدة اللئام، لا هوان، غزَّة والعرب، الصمت العربي، البيت العربي، صرخة في وجه الموت، وهذه الأخيرة هي التي استقى منها الشاعر عنوان ديوانه، وهي صرخة في وجه الظلم والطغاة،وفي وجه الأعداء والتاريخ.

إضافة إلى ذلك فقد كانت هناك عناوين لِعِلَلٍ اجتماعية،ذاقت بها الأرض بما رَحُبت مثل: المتكبر، سامحني يا ولدي، البائس...الخ، وعناوين أخرى متضرِّعة إلى المولى عزّ وجل،متشفعة بالنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يا ربُّ حمدك، أدعوك ربي، السيرة الخالدة.

إذن فقصائد الشاعر كانت بكائية، صرخات في وجه الذُّلِّ، والانكسار، حيث صوتهُ كان مدجَّجً بالنّار، صارخًا بالعار، يبغي الفرار من ذاك الخزي والدّمار، الذي لحق

[1]–محمود درويش، في حضرة الغياب، رياض الدّيس للكتب، بيروت، لبنان، ط2، 2009م، ص175.

بالوطن العربي؛ فكان حقّا الشاعر العربي المعتز بعروبته حتى النخاع، المتشبث بعقيدته الدينية، وقد ظهرت جليّتا تلك النزعة، القومية، فهو الشاعر الذي تنقّل بَيْنَ مِحْرابِ الكلمة، وبراكين الأسى، في واحة الشعر التي ألهب كلماتها، وأذكى نار حروفها، لوعة وحرقة وأسى، هو الشاكي، الباكي كثيرًا عن الزمن الهارب منّا، والباكي أكثر عن الزمن الحاضر فينا وحال لسانه يُردّد دمع القائل:

ربِّ يَومٍ بَكيْتُ فِيهِ فَلَمَّا *** صِرْتُ فِي غَيْرِهِ بَكيْتُ عَلَيْهِ[1]

و يا ربَّ يَومٍ لا أقوم شكره *** على أَنّنِي مَا زِلتُ أُثْني وأطْنبُ.[2]

وتتمظهر معالم الحزن عند حسان عبابسة من خلال قضايا واتجاهات الحس المأساوي:

أولا: الاتجاه السياسي:

اتصل الشعر العربي بالسياسة منذ العصر الجاهلي،عندما كانت القبيلة تشكل الوحدة السياسية في النظام القبلي الذي ينتمي إليه الشاعر، فالسياسة في اللغة تعني " القيام على الشيء بما يصله، وتولي أمر الناس والرياسية عليهم، ونفاذ الأمر فيهم "[3] ليتطور هذا المعنى، ويصبح مصطلح شائع، وكثير التداول ويعني " حكم الدولة في أمورها الداخلية، وفي علاقاتها مع الدول الأخرى [4]. وفي يومنا هذا أصبحت السياسة " لعبة فكرية حيوية يمارسها الكبار بكل لذة وشهية" [5] والشعر دخل معترك السياسة، وهذه الأخيرة أرخت عليه سدولها، وأصبح الشعر السياسي يبين من خلاله الشاعر موقفه وأرائه مؤيدا أو معارضا للحكم والسياسة، ساخطا يبث الآلام والأوجاع على الواقع السياسي الحزين المملوء،بالانقلابات والاضطرابات، والفتن، والحروب، وعليه فإن كل من (الفساد

[1]–أحمد الطيّب معاش، دواوين الزمن الحزين، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص21.

[2]–محمد أحمد دّقاني، الحنين في الشعر الأندلسي، دار الوفى، الإسكندرية، مصر، ط1، 2008،ص15.

[3] محمد شهاب العاني، الشعر السياسي الأندلسي، دار دجلة، عمان، الأردن، (د ط)، 2008، ص 11.

[4]ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

[5] عبد الله حمادي، نفاضة الحراب (تأملات في الأدب والسياسة)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.ط)،2008،ص268،267.

والخراب، والاضطراب والحروب والفتن... الخ) كلها مجتمعة كانت من بواعث الحس السياسي المأساوي التي أفرزتها سياسة عمياء، يقودها جهلاء لا يرتقون إلى التطور والازدهار، بل التكالب والتفاخر على كرسيها الذي يقف على أرجل عرجاء تشده أرض مخضَّبَة بالدماء.وهذا للأسف الشديد ما يميز سياسة عصرنا الحالي الذي حضيت فيه المأساوية السياسية قدرا،من الاهتمام من طرف الشعراء نتيجة، لكثرة الأحداث الساخنة، والضربات الموجعة فيه من حين إلى آخر، حتى أصبحت هذه الآلام تتجمل بها السياسة في بحر الدموع والدماء لتاريخ أمتنا العربية التي تشهد انهيارا سياسيا حادا من خلال الأحداث المتعاقبة، فكثير من من أحداث التاريخ القديم والمعاصر، يحاكي بعضه بعضا، فالتاريخ يعيد نفسه، لكن نحن دائما نجهله، ولا نتعظ، بل نتناساه في غياهب دوامات العصر ولا نقف عنده حتى نستلهم العبر، ونحرك الهمم، ولا نقع في نفس الخطيئة، التي أغرقت، أمتنا العربية في أحضان الغرب، واغتصاب اليهود، إنها خطيئة المحن، وخطيئة السنوات العجاف الظالمة التي استباحت كل شيء،في ميدان السياسة، ليصبح الدم عنوانا للعروبة، ولونه الأحمر رونقا وجمالا في أعين أعدائنا، بل هو عطر ينثره الخونة، والمتقاعسين. في سلم الرياسة على ثياب تخفي ورائها ذئاب تعبث بعطر الدم والدموع، وتبيعه بثمن بخص على عتاب أمريكا، وإسرائيل وأبنائهم وأذنابهم، وهذه الخطيئة بقيت ماثلة ولم نتعلم منها كما تعلم " **محمود درويش** " بل ننسى كما يقول:

أنا آدم الثاني تعلمت القراءة
والكتابة من دروس خطئي.
وعندي سيبدأ من هنا والآن
إن شئت أن أنسى... تذكرت.[1]

ويا ليتنا نتذكر خطيئتنا، ونتعلم الدرس، ولا نضيع كما ضاعت القدس إذن عدم الاعتبار، وفقدان الأمن والاستقرار هو الذي أدى بنا إلى هذه الظروف السياسية، المخزية

[1]–عمر أحمد الربيحات، الأثر التوراتي في شعر محمود درويش، ص58.

والمحزنة، لأن " الإنسان يظلّ يحن طول حياته إلى مثل هذا الشعور بالأمن"[1] لكنه غاب وحل محله الأسى الذي، يتصاعد ودموية العصر،والأحداث المتعاقبة التي تخلف آلام في النفس تنزف شكوى، وآهات، وقلق مستمر".[2]

فالمأساوية السياسية لدى شاعرنا "**عبابسة حسان** "نابعة من واقع أمتنا العربية، والإسلامية، حيث أنه وقف عند عدة محطات سياسية ساخنة، لطالما لفحت الجبين، وأرقت دمع العين في مقدمتها الأرض المسلوبة فلسطين النكبة الكبرى التي أثمرت عدة نكبات، هزائم كالحرب العراقية، وبيروت، بالإضافة إلى الصومال، والشيشان في إطار البعد الإسلامي. هكذا شجت هذه المحطات في نفس شاعرنا، وتركته شاكيا باكيا بدل الدموع دما على ماض ولّى واندثر، وحاضر مريض يحتضر، وفي مقدّمة تلك المحطات نقف عند القضية الفلسطينية.

الحس المأساوي السياسي الفلسطيني:

فلسطين تلك المرأة الذبيحة قبل الأوان، الجريحة على أيدي الإخوان، الأسيرة في بحر الهوان، تلك الصّرخة التي تدعوا بالأمان، تلكم هي قضية فلسطين –قضية المسلمين–الجرح الدّامي منذ سنين، هي الأرض المسلوبة المغتصبة، والعرض المهان بين أيدي الطّغيان إنّها تلك الجوهرة الثمينة التي داسها جنود الشيطان فتهشّمت، وتشوّهت كما يقول " صلاح عبد الصبور"

سقطت جوهرتي بين حذاء الجندي الأبيض
وحذاء الجندي الأسود
علقت طينا من أحذية الجند
فقدت رونقها.[3]

[1]–أحمد علّي فلاحي، الاغتراب في الشعر العربي، ص164.

[2]–ينظر: المرجع نفسه، ص164.

[3]–أحمد سيف الدّين، ظاهرة الحزن في الشعر العربي الحديث، ص108.

إنّها أرض اللّهب التي تآمر عليها الحبيب قبل الغريب حتى ضاعت بين أحضان الصّليب كما عبّر عنها الشاعر الجزائري " الأخضر السائحي "

و الضحايا، كيف ماتوا.

حشدوا صّفا وماتوا

هكذا مثل السبايا

أيساوون الحياة

لا، ولا حتى بقايا

لا بل حتى رفاة

هكذا ضاعت فلسطين الحبيبة.[1]

والشاعر "عبابسة حسان" ألهمته القضيّة، وألهبته نفسه الشّجية بترانيم، ونغمات جنائزية لجراح فلسطين الأبية، حيث طال وقوفه كثيرا وفي جلّ قصائده، بل كانت هناك قصائد بعينها أفرادها بها، مُعَنْوَنَةً بها، صارخة بهمّها؛ ولا عجب في ذلك فمأساة فلسطين هي مأساة الأمة المفجوعة بفقد إحدى أكبادها، وهي التي احترقت بالآهات، والحسرات لا تنطفئ نارها إلاّ برجوع الغائب إلى حضن أمه تلكم هي أمتنا، التي لا تنتهي إلى برجوع فلسطين إلى أحضانها ولكن هيهات فالأمة تحتضر، ومشرفة على الممات، فهي مترامية الأطراف، قلبها منذ سنين ينزف دما وأنين من أكباد فلسطين، وغاب عنها المجداف، وصار الدّم زعاف.

فالقضية الفلسطينية تمثل القلب من الوطن العربي، بل تسكن في قلب أبناء الأمة الواحدة الشاعر " عبابسة حسان" سكنت قلبه وروحه حتى اختار في عشقها، واحتار في الحروف التي يختارها حتى تعبّر عن مشاعره الغارقة في حبّها، وحب القدس، وحب غزة، إنّها ثلاثية مكانية أولاها الشاعر اهتمامه، وألقى عليها إعصار حروفه المتألمة لأجلها، بل إنّه على قدر ما كان متحسّرا ومتوجعا لتلك الثلاثية (فلسطين القدس،غزة)، إلاّ أنّه كان

[1]–محمد الأخضر السائحي، من عمق الجرح يا فلسطين، ص14.

كثير ما يفتخر بأمجادها وأبطالها البواسل بل إنّ عناوين قصائده لطالما حملت اسم فلسطين، وغزّة، ولطالما التحما بين دّفتيها القدس، هذا الأخير الذي اصطفاه الله من فلسطين، وكان مهبط الوحي، وموطن إبراهيم الخليل، ومبعث عيسى عليه السلام، وإسراء المصطفى عليه الصّلاة والسلام لقوله تعالى:﴿ سُبْحَانَ اللَّه الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيلًا مَنْ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَىَ﴾[1] بل كانت لها مكانة في القرآن الكريم قال عز من قائل: ﴿ وَجَعَلْنَا اَبْنَ مَرْيَمَ وَأمِهِ أَيَةً وأَتَيْنَاهَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرارٍ وَمَعِين﴾[2] قال ابن العبّاس: هي بيت المقدس[3]، بل إنّ هذه المكانة التي حظيت بها القدس، وحتى كل شبر من فلسطين قد ألهبت عيون كل المسلمين، وخاصة الشعراء الذين جيّشت عواطفهم، وألهبت أحاسيسهم فأخرجت منهم أبياتا ساخنة كلهيب المدافع، يزلزل عروش الطغيان، ويوقظ الأمة من الغفلة والنّسيان هكذا أنشد " مجد الدّين الحمبلي أمته قائلا:

مررت على القدس الشريف فسلما***على ما تبقى من ربوع كأنجم

وفاضت دموع العين منّي صبابة***على ما مضى من عصرها المتّقدم.[4]

القدس وكلّ شبر من فلسطين قد ألهب قرائح الشعراء بقصائد غرّاء، مدحا وحبا لتلك الأماكن الطيّبة المباركة، ووجعا وتألما وسخطا عمّا يلاقيه إخواننا من ضيم اليهود وأشّقائهم العرب، وكذلك فعلت فلسطين بالشاعر "عبابسة حسان" ونبدأها بقصيدة " فلسطين"، إنّها قصيدة تقليدية وكأننّا نقرأ فيها لأحد من شعراء القديم، الذي يتّغنى بفلسطين ويشيد فيها المدح، بل إنّها وثيقة تاريخية، وصفحة بيضاء غرّاء من صفحات التاريخ المجيد. ويفتح القصيدة عن تلك المكانة الهامّة المهيبة لفلسطين من الناحية الدّينية؛ فهي مهبط الأنبياء، وولادة المسيح عليه السلام وإسراء رسولنا سيّدنا محمد صلى

---

[1]– سورة الإسراء، الآية: 1.

[2]–سورة المائدة،الآية: 05.

[3]–أوس داوود يعقوب، ديوان القدس(من أجمل ما قيل من أشْعار في مدينة القدس الشريف)، دار الصفحات، دمشق، سوريا، ط1، 2009م، ص13.

[4]–عبد الكريم أحمد إسماعيل، القضية الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر،دار الوراق، عمان، الأردن، ط1، 2015م، ص25.

الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، كما كانت ميدانا للعزّة والإباء ممّا أدّى بالأدباء والشعراء نحو التسابق لعشقها وحبّها والتضحية في سبيلها لتغير عليها جيوش الظلام، وتنجد النخوة والدّماء والحمّية ويدخلوها فاتحين، لمفاتيح القدس ماسكين مع الخليفة " سيّدنا عمر ابن الخطاب" ولكن أقدام الهمجيّة تدّنس ثراك، ويفزع "صلاح الدّين" لحماك لكن بني صهيون داء عضال ينخر في علاك، ولكن هيهات فالدّم قد جفاك وأبكيت وأدميت كل من هواك، لأنّه عاجز عن ردّ حماك وختام القصيدة يناهض الشاعر العروبة ويدعوها إلى شحذ الهمم ونفض الهوان والانكسار اللّذان حلى بهما وكفاها ذلا وخنوع وانحناء فقد حان وقت الإباء قائلا:

فلسطين يا مهبط الأنبياء***ويا مسرحا صال فيه الإباء
ويا عبرة في جبين الزمان*** تنافس في مدحها الشعراء
تغنّى بذكرك كلّ أديب *** فكان الوصال وكان الوفاء
ففيك ولادة عيسى المسيح***وأسرى إليك رسول الإخاء
أغارت عليك جيوش الظلام***فهانت لأجلك كلّ الدّماء
عرفت اليهود كداء عضال***فطال العناء وعزّ الشفاء
وجاء رجال أجهدوا البلاء***فكان الجهاد هناك والدواء.
ودار الزّمان وعاد اليهود***وحال العروبة حال الإيماء
ولاّة العروبة يكفي هوانا***ويكفي تداع ويكف انحناء[1]

وفي نفس المعنى يقول الشاعر "يوسف العظم":

يا قدس يا محراب يا مسجد***يا درّة الأكوان يا فرقد
سفوحك الخضر ربوع المنى***وتربك الياقوت والعسجد
أقدام عيسى باركت أرضها***وفي سماها قد صار أحمد
أبعد وجه مشرق بالتقي***يطلّ وجه كالح أربد

[1] –عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، دار الروائع، سطيف، الجزائر، ط1، 2010م، ص57،58.

وبعد ليث في عرين الشّرى*** يخلو كلب راح يستأسد

وبعد شعب دينه رحمة***يحلّ من وجدانه يحقد.[1]

إن كلا من الشاعرين تفننا في مدح فلسطين، ولكن بين طيَّات المدح نلمح مرارة، وحسرة على مرارة الماضي التليد، ووجعا وألما على الحاضر المقيت المخزي المدّنس بأذيال اليهود، وعار العرب أهل الجحود، وشتّان بين الحاضر والماضي.

أمّا في قصيدة " صامدون" فإنّ الشاعر يوجّه خطابا إلى بني الصهيوني الذين يفجرون الأجساد ويدّمرون البلاد فإنّ أبناء فلسطين صامدون في بلدهم مهما فعلوا ويفتح القصيد بفعل الأمر (فجّر) وهذا فعل الأمر يتكرّر في الأسطر الستة الأولى من القصيدة (فجّر، مزق، أذبح، دمر، انشر، أصدع) أي مهما فعلتم يا أبناء القردة والخنازير من تفجير، وتمزيق وذبح...الخ) فإننا صامدون وعلى أرضنا باقون، حتى أنكم حاصرتمونا، جدرانا لكي تهينونا، فإننا صامدون فنحن عنوان المكان منذ الأزل.

و سنعود مهما تغربنا كما تعود الطيور بعد هجرتها، ونبقى صامدون، إلى الأبد حيث يقول:

فجّر كما شئت القنابل

مزّق كما شئت الجسد

اذبح كما شئت البلابل

دمر كما شئت البلد

وانشر ظلامك في الربوع.

روح البقاء....هنا تحلّق في المدى

لَأمَوْت

حاصر حصارك كيف شئت

...فلا هوان

[1]–أحمد سماعيل عبد الكريم، القضية الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر، ص 132، 133.

الشعب مغروس هنا

.....والشعب عنوان المكان

كرجوع أسراب السّنونو

...عائدون إلى البلد

صامدون إلى الأبد.[1]

مهما فعل بني صهيون دمر وأحرق، وسجن ونفي إلاّ أن الشعب الفلسطيني متمسّك بأرضه حتى النخاع لأن أعماقه ضاربة في التاريخ حتى ولو زيّفه بني اليهود، وما ضير الشجرة إن سقطت أوراقها فإنّها تبقى حيّة شامخة لأن جذورها تمتد في الأعماق كجذور فلسطين وفي هذا الصّدد يقول " سميح القاسم" قصيدة "موعظة لجمعة الخلاص"

أناملك القدس

فاسحب فلولك

تجاوزت كلّ الحدود

بلاطي من النّار والجمر

أين تجرّ ذيولك

أنا ،ملك القدس فأختر سبيلك

تفضّل لترحل

و لترحل.[2]

وهنا يبيّن الشاعر بأنّه الملك الحقيقي للقدس، ولن يرحل عنها للأبد بل على اليهود الرحيل، وإن لم يكن اليوم فسيكون في المستقبل القريب بإذن الله.

وفي العودة يقول " عز الدّين المناصرة" في قصيدة " القدس عاصمة الجذور"

هو شرط وحيد

[1]–عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 61،62.

[2]–أوس داوود يعقوب، ديوان القدس، ص55،60.

أن نعود إلى مسقط الرأس، والجذر

حيث فلسطين من حرقة تنتظر

أن تعود إلى مسقط الرأس

هو شرط وحيد.[1]

قصيدة "تحية إلى غزة"وهي قصيدة أفردها الشاعر إلى تلك البقعة المرابطة في سبيل الله والتي رفعت الجبن والخوف على أكتاف العرب وصمدت في وجه الغرب و في وجه المحتل المغتصب إنّها تحيات الكرامة والاعتراف لأولئك البواسل الذين وقفوا أمام وجه الطغيان والحصار إلاّ أنّهم كانوا صابرون صامدون وعبر طيّات التحيّة يرسل الشاعر كل معاني الشوق و لواعج الصبِّ، فهو القتيل بآلام غزّة وهو الشهيد في ساحة حبّها و أوجاعها وهو الذي يحترق لوعة بمشاعر وأحاسيس الشعراء ويتجرع ألما بمسؤولية الأطباء، فهو الشاعر الحسّاس المرهف للريشة والقلم، وهو الطبيب المعالج القاطع للورم، المداوي للمرض من كلّ السّقم وشتّان بين الميدان فالأول إلهام والثاني جسد إنسان لكنهما في الروح تمتزجان، إنّهما اثنان الشعر والطب، ويعلن بها الحرب على العدوّ المغتصب، ويرسل ريّاح الصّب إلى غزّة قلب العرب، لتصدح حروف اللهب عن مأساة العرب ويسّجل هذا الغضب بأحرف من ذهب حيث يقول:

ولغزّة الأحرار ألف تحيّة***ولها بشعري قسمة و نصيب

تالله ما انفك أذكى مجدها***إنّي المتيم شاعر وطبيب.[2]

وفي دائرة العشق لفلسطين وكل شبر فيها نجد الشاعر "هارون هاشم رشيد" المغرم بكل ما على أرض فلسطين فهو يزيد عشقا وولعا يقول:

أنا عاشق مدنف مستاهم***أنا تائق ومتوق وصب [3]

[1]–أوس داوود يعقوب، ديوان القدس، ص80.

[2]–عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص73.

[3]–أحمد إسماعيل عبد الكريم، القضية الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر، ص132.

ويواصل الشاعر في قصيدته"تحية إلى غزةّ" مستغربا أشدّ الاستغراب ويصيبه الذهول، حين يرى الأوغاد من بني البشر يقيمون بالقدس الشريف، في حين أن أبناء وطنه البررة متفرّقين، ومشردين بين أصقاع العالم، بل قد أصبحوا هم الغرباء فتعسّا لهذه القسمة العمياء التي جعلتهم ينامون على جمر الأسى واللّهيب حيث يقول:

أيقيم بالقدس الشريف أراذل*** وأبن الكرام مشرّد وغريب

يمشي على جمر الأسى متعثرا*** وفراشه عند المنام لهيب[1]

و يواصل مستغربا أكثر في أولئك العرب الذين يندبون حظهم كالعجائز، ولا يقدمون لإخوانهم في غزة سوى النحيب،ومتى كان النحيب سلاحا،إنه فقط سلاح الجبناء والمتقاعسين،ويزيد أكثر في الاستغراب أن العرب لا يهبون إلى غوث غزة، بل إنهم ينتظرون القرارات؛عفوا إنها ترهات من مجلس الأمم، بل هادم القيم،وهذا لن يحدث إلا في حالة واحدة عجيبة ومستحيلة في نفس الوقت إذا شاب الغراب أو أزهر الملح،وهذا محال في سنن الخلق لان السلام الذي ينتظره العرب،هو الاستسلام،والخضوع والذلة لبني صهيون بل هو لعبة وحيلة هؤلاء الكفرة الفجرة حتى يسلم ويرضى العرب بالأمر الواقع،بأمر المفاوضات التي تعني الاعتراف وهذا هو الواقع المخزي والعار الذي لايزال يطارد العرب،إنها الكلمة التي يواري بها حكام العرب سوءاتهم،بل هم كغثاء السيل لايهمهم سوى تمجيد الدنيا،وسلطان المال التي تداعت عليهم الأمم كما تداعت الأكلة على قصعتها يقول شاعرنا:

أنظل نندب كالعجائز حضنا***وسلاحنا في النائبات نحيب

ونضل نرقب مجلسا وقراره*** صبرا إذن حتى الغراب يشيب [2]

فالقرارات والشعارات هي سياسات خداعية من طرف الصهاينة إلا أن الشعراء لم تحدهم لأنهم لسان الأمة وضميرها المتكلم والمحرك لها يقول:عبد الغاني احمد حداد

[1]–عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص73.

[2] المرجع نفسه، ص 73.

الشعارات لن تعيد حقوقها***عودة الحق بالجهاد المجيد[1]

أما السلام الذي هو تكسير لعظام, وكبوة فلسطين هو سلام زائف, وسلام قتل وسفك لدمائهم هكذا يتساءل عن السلام الشاعر عبد العزيز رضوان من قصيدة دمعة على القدس الأسير

هل السلام هو الإبعاد يتبعه*** كيل من السب بالإذلال يأتينا[2]

ويقول الشاعر عن ما يصبو إليه اليهود (أطماعهم)- رفيق حسن حليمي

إن ابن صهيون ليعطيك غزتنا *** إلا ليأخذ منك القدس والجبل[3]

ويستغرب عبد العزيز رضوان في نفس القصيدة السابقة عن ركون العرب والمسلمين إلى السلام، وتصديقهم للعهود الكاذبة، فقد استناموا خائرين للذل والخنوع وان كانوا كغثاء السيل:

والمسلمون استناموا خائرين لهم ***خوف ورعب بكل الخزي يرمينا

غثاء السيل وان كانوا ذوي عدد***وقد توالوا لأعداء مواليا

ساعدوهم بتزييف وعلمنة*** وان أكاذيبهم صاروا محامينا[4]

وفي ختام قصيدة تحية إلى غزة إن الشاعر يدعو إلى الخلاص بعيدا عن الذل والهوان،ولا يكون إلا بالحزم والعزم،وشحذ الهمم ولان ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة لا يسترجعالا بإعلان الجهاد ضد الكفرة،,وذلك بتوحيد الصفوف والكلمة لان في التفرقة ضعف والإتحاد قوة،ومادام العرب متجمعون على بؤرة الدم والدموع،متفرقين عن الإتحاد والحق المبيوع،فإنهم لن يحرروا فلسطين بأحاديث وشعارات لاتجود،فحديث الليل زبدة وان أصبح النهار يذوب،بكل بساطة فهم لايتعلمون وسرعان ماينسون يقول الشاعر عبابسة حسان:

---

[1]-أحمد إسماعيل عبد الكريم، القضية الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر، ص235.

[2]-المرجع نفسه، ص238.

[3]-المرجع نفسه، ص239.

[4]- المرجع نفسه، ص 237.

إن الخلاص بعزمنا وبحزمنا***فتوحدوا ودعوا الحسام يجيب[1]

وفي شأن الإتحاد وإعلان الجهاد بعيدا عن موائد السلام يقول "كمال عبد الكريم وحيدي"

ولكن السلام يذل قومي *** إذا ولو عن الأقصى صدودا

رجال المسلمين لم استكنتم *** لمن خانوا الأمان والعهود

فهيا للنفير ولا توانوا*** أبيدوا الخصم لا تبقوا جمودا[2]

فالخلاص عند الشاعر يكون بالجهاد، وليس السلام الميت تحت أرجل الأعداء التي يدوسون بها رقاب فلسطين صباح ومساء، بل انه من الغريب أن يركن حكام العرب إلى السلام، المفاوضات بل حتى مصافحة الأعداء. على بيع الدماءوأسلحتهم موجهة إلى صدر كل عربي، وقلب كل فلسطيني، يتهمون، ويتوعدون، ويهددون والعرب في زاوية صغيرة مختبئون وبرؤوسهم منتصبون، تجمعوا في بوتقة التخاذل، لأنهم مرضى بحمى التكاسل، إنها سياسة العرب وأنظمة العرب التي استباحت دم إخوانها ورضيت إن تبقى ذليلة كليلة لأعداءالأمة، هؤلاء الذين يستغلون تلك الأنظمةأيما استغلال، لتوجيه الضربات القاسمة لظهر إخوانهم، من خلالهم، فنحن كلنا مع شاعرنافي وجه تلك الأنظمة، ونرفضها. كما رفضها نزار قباني حيث صرخ في وجه الأنظمة من المحيط إلى الخليج قائلا :

ارفضكم جميعا

واختم الحوار

لم يبقى عندي لغة

أضرمت في معاجمي

وفي ثيابي النار[3]

[1] – عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 74.

[2]– أحمد إسماعيل عبد الكريم، القضية الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر، ص245،244.

[3]– عبد الحليم مخالفة، تجليات الأسطورة في أشعار نزار قباني السياسية، ص 71.

أما قصيدة "المفارقة" هي صرخة أخرى من أعماق غرة المحاصرة، الصامدة المرابطة في سبيل الله فالمفارقة هي الضد وحدوث ما لا يتوقع. وهي فعلا حدث المفارقة في غزة، الثلة القليلة المحاصرة، تقاوم العدو، وتصرخ في وجهه ووجه كل عربي متكاسل بأنها صامدة، وتدفع في كل يوم أرواحا من أبناءها البررة، الذين كانوا ثمنا وضريبة للخزي العربي الذي غسلت وجهه غزة بالمقاومة والسلاح. فالقصيدة يفتحها نداء إلىأحرار العرب، أن يستفيقوا من غفلتهم ونومهم الذي طال، ويهبوا إلى نجدة غزة المحاصرة، بلد العزة والكرامة، فهي تلك البنت العربية الشجاعة التي رمت بنفسها في ميدان الحرب لنجدة العرب بل بدل أن يجندوها هم؟؟؟؟ إنها مفارقة التحدي التي تصنعها غزة الفتاة الأبية التي تغار على أرضها وعرضها بل هو عرض كل العرب، فما هذا الصمت؟؟؟ والغضب؟؟، إنها غزة التي تدفع كل يوم سيلا من الدماء لتغسل ذلك الغضب، بل لتغسل عار العرب التي تواري سوءاتها، بتلك الوريقات التي تدفع لأجل السلام، لا يسمن ولا يغني من جوع وكما هي صامتة حتى ملها الصمت تطلب من غزة الحرة أن تصمت ويا للعجب وهاهي مفارقة أخرى، فالحرةالأبية ترفض الصمت، وترفض الغدر، وتصرح بكل ما أوتيت من قوة وهي وان تجد النصر من إخوانها العرب فهناك أحرار العالم الذين يساندونها، ولا يخشون لومة لائم، وليس مثل حكام العرب الذين دارت عليهم الدائرة وصاروا في غياهب الجب. يقول:

يا أحرار العرب أفيقوا...
غزة تغسل عار العرب بدمها.
وبقايا الاعراب تواري سوءة فمها
بالورق المدفوع الأخضر
وتصيح بغزة... صمتا
والحرة ترفض إن تصمت
تعلق جرح الغدر العربي

وتقيء الغضب المدفون عليهم

وتصيح... يا أحرار العالم

أعطوني شافيزا واحدا

وخذوا عني مليون مبارك. [1]

الحس المأساوي في ثنائية الطفل والحجر:

الحجر قلب القضية الفلسطينية، انه رجع للحقيقة الفلسطينية التي كادت أن تصبغ بين تقاعس الابناء، ومكر الأعداء. وكيف لا يكون الحجر كذلك، والحجر له صولة وجولة منذ غابر الأزمان مع أبرهة الحبشي الجبان الذي أراد تدمير الكعبة، فأرسل الله عز وجل طيورا مسلحة بالحجارة فأرجعهم مما جاؤوا، يقول عز من قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾[2] صدق الله العظيم.

فلا بد أن تكون الحجارة التي يحملها الطفل الفلسطيني مشابهة، وليست ببعيدة عن تلك التي حملها الطير الأبابيل، ولا غرور في ذلك لان أطفال الحجارة يحدوهم الإيمان لإبادة العدوان، وحتى في الأثر النبوي، فانه يخبرنا بان الحجر يكون الشاهد الأول على نهاية اليهودي لما جاء في الحديث:« لا لتقوم الساعة حتى ينطق الحجر ويقول: أيا رجل أو يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله »[3].

وفي هذا المقام يتوحد الطفل مع الحجر، باعتباره جنديا من جنود الله عز وجل جاء نصرا، وحماية لهم، وقد شدت هذه الحجارة المباركة عقل شاعرنا حسان عبابسة، بل أذهلت عقول كل الشعراء، وأولئك الصغار لا يحملون سوى حجرا أمام الاحتلال

---

[1]–عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص.94،95

[2]–سورة الفيل.

[3]–رواه الإمام مسلم في صحيحه.

المدججون بأَعْتي الترسانة الحربية وهم يسجلون بطولات نادرة وتضحية لامثيل لها وفي هذا يقول: "محمد التهامي":

تسن العصافير منقارها*** وتلقي على الذراعين الحجر

وتهرع عند دوي الرصاص ***لأعشاشها في أعلى الشجر

كان الحصاة بمنقارها***رمى خالد سهمها فانتصر[1]

أما الشاعر عبابسة حسان فانه يؤكد على أن الفلسطيني لايخاف ولن يجبن أو يهان مادام في أرضه كما يقول

لكنني رغم العدى

سأظل أصرخ....لا هوان

مادام في ارض حجارة

..... لاهوان.

إنه لا هوان مادام أولئك الأطفال يمسكون بالأحجار التي تحولت في أيدي الصغار من أحجار صماء إلى أصوات تشق الأرض والسماء يقول الشاعر المتمرد "نزار قباني" في قصيد "الغاضبون":

علمونا كيف الحجارة تغدوا*** بين أيدي الأطفال..... ماسا ثمينا

كيف تغدوا دراجة الأطفال لغما***اعتقلتموها..... تحولت سكينا

كيف مصَّاصة الحليب.. إذ ما *** اعتقلوها..... تحوَّلت سكينا [2]

إنّهم الأطفال الصغار الذّين يتحملون مسؤولية الكبار إنّهم الصغار الزهور اليافعات التّي تهوى اللّعب والدّراسة، والانشراح فتجد نفسها تحمل الحجارة في المحافظ، وعقولهم

[1]–احمد إسماعيل عبد الكريم، القضية الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر ص307.

[2]–نواري سعودي، أبو زيد، جدلية الحركة والسكون لمقاربة أسلوبية لدلالية النبي في الخطاب الشعري عند نزار قباني "الغاضبون" أنموجا، بيت الجكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2009، ص11.

في الكفاح فما ذنب هؤلاء الأطفال الصغار؟ كما يقول الشاعر: "**محمد الأخضر السائحي**" في قصيدته "**مذكرة طفل فلسطين** ":

أكتب: ما ذنب الأطفال الصغار

حتى تبكي أعينهم من أوساخ العار

اكتب من جيل النار[1]

فما هو ذنب البراءة حتى تتحمل ذنبا لا تقترفه، بل اقترفه أولئك الكبار الذين تآمروا على بيع فلسطين، بل ما ذنبهم حتى يمحوا الخزي والعار، ويحملون على عاتقهم مسؤولية تحرير الوطن بالحجارة إنها حجارة من سجيل تقتل بني صهيون اللعين كما يقول "الشاعر محمد التهامي " في قصيدة "**يا قدس** "

كأن الأبابيل في صفها*** تعبئ أحجارها من سقر[2]

إنهم أطفال ضد الخوف، وضد الذعر، وضد النار، أرهقهم الحصار. وغابت عنهم الأحلام الجميلة التي تراود كل طفل من شدة الحصار الذي يتجرعونه في كل لحظة، جوع وأنات، وممات، وفقد للماء للغذاء للضوء...

إنه " الحصار الجائر الذي أقامته إسرائيل لعزل غزة اعتقادا منها أنه سيجد مخرجا من المأزق الذي وجدت فيه نفسها نتيجة فوز حركة المقاومة الإسلامية حماس"[3]، وعن الحصار يقول "**عباسة حسان** "قصيدة "**لاهوان** ":

حاصر كما شئت لا هوان[4]

---

[1]– محمد عبد القادر السائحي، من عمق الجرح يا فلسطين، ص 130،131.

[2]– أحمد إسماعيل عبد الكريم، القضية الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر، ص 307.

[3]–ينظر:خولة محي الدين يوسف،فلسطين والحصار،مجلة جامعة دمشق، دمشق، سوريا،المجلد 27، العدد 4، 2011 ص 282.

[4]–حسان عباسة، صرخة في وجه الموت، ص 62.

قصيدة "**غزة والعرب** ":

حوصرت غزة...

...ما اهتز العرب.[1]

إنه حصار النار والعار، وحصار الغضب، وما اهتز إليه العرب، المتقاعسين وكأنهم ليس هم الأهل حيث يقول "حسن البرغوثي ":

أهلي الشوارع والصور.

ومظاهرات في الدخان.[2]

فما دام هناك حجر فإن طفل فلسطين يبقى حي ولا يتئد رغم كل المآسي التي يتجرعها،فإنّه في هذا الجو الرهيب ينموا ذلك الطفل اللهيب، ويتغذى من رحم الآلام، والأحزان في الشاطئ الموت، لأنه لم يعد يخافه، لقد هزم الموت وانتصر عليه، حتى الموت هو الآخر مات في نفسه المتطلعة إلى النصر أو الاستشهاد وكيف لا يكون كذلك ما دام بين يديه حجر كما يقول "**أحمد عزام** ":

هذا الصبي المعجزة.

خريج مدرسة المحاريب الزكية.

قد أعلن الحرب العتّية.

أقسمت أن أسقيكموا كأس الحتوف

ولن تناموا...ما دام في كفي حجر.[3]

إنها المعجزة التي تمثلت في الحجر، أقسم بها الشاعر أن يحارب بها بني صهيون ولن يتركهم يذوقوا النوم، وكذلك شاعرنا " **حسان عبابسة** " يصف الأطفال الصغار قائلا: من قصيدة "**مذكرات طبيب** "

[1]–حسان عبابسة صرخة في وجه الموت ، ص 64.

[2]–تميم البرغوثي، في القدس، الشروق، القاهرة، مصر ط 1، 2009، ص 29.

[3]– عبد الله عزام، حتى لاتضيع فلسطين، دار السلام، الجزائر، الجزائر، ط1، 1991، ص 17.

دخلتها...مصلحة الأطفال

... آه لهم أحبابنا الأطفال

دويلة صغيرة... غزاتها الأشرار

دويلة ضعيفة...ليس لها قرار أعداؤها...

جرثومة، فيروسة...

... مجاعة...ونار

رأيتني جنديها...والقائدا

مابين كرّ...ذاهبا

وبين فر...عائدا

معركتي أديرها بالصبر والإيمان

أسلحتي قوية لأنها الحنان

لأنهم أمانة في عنقي

وشيمتي من غابر الأزمان [1]

إنها دويلة صغيرة غزتها الأشرار، إنها دويلة الأطفال تطاردهم الجراثيم (الشرطة الإسرائيلية) بالعصي، والقنابل، ولم يجدا أولئك الأطفال من يدافع عنهم لأن النخوة العربية غادرت بل ماتت من حكام العرب، يسقط الصبية بين أيدي الشرطة لتمثل وتنكر بهم، وتسيل دماؤهم أنهار، والعرب لا أحد يهتم و كأنهم ليسوا أبناء جلدة واحدة,فهناك من يدعون أنهم يناضلون من أجل القضية،–وبالأساس يقدمونها هدية التي يعيشون باسمها (القضية الفلسطينية) في أضخم الفنادق، وهم يدوسون عن أصحاب القضية بأرجلهم حتى لا تعرف حقيقة نضالهم المزورة،لان النضال هو الميدان (الأرض)، والعرض والدفاع عنهم حتى آخر قطرة،وليس الفنادق التي يَلِجُهَا حكام العرب، هذا هو زمن النضال المزيف الذي يحترفون فيه قتل القضية ويأتون رسل سلام،وهم في الحقيقة حرب ودمار

[1]–عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 34،35.

لذلك أقسم الشاعر أن تترك فلسطين فنادق أمريكا،ومجلس الأمن، وأن تلج الخنادق،وتحمل البنادق حتى تحقق النصر حيث يقول قصيدة "**أيتام على مائدة اللئام**"

فلسطين.....

أيقضت كل الشعوب

كشف كل العيوب

أغلقت كل الدروب

لسلام..... أصله أمريكا

ومجلس الأمن يتوب

فلسطين...

أقسمت بالله أن تدع الفنادق

أقسمت بالله أن تلج الخنادق

تحمل للنصر البنادق

هكذا.....

مجلس الأمن يتوب[1]

إنها معركة أولئك الصغار يديرونها بالصبر والإيمان كما قال آنفا الشاعر " **عبابسة حسان** ": في قصيدته "**مذكرات طبيب** " إنها قلوب أولئك البررة الصغيرة المتشبعة بالعقيدة الإسلامية الحافظة للقرآن الكريم، والتابعة لسنة العدنان عليه الصلاة والسلام، إنها قلوب المرابطين على الجهاد بالحجر، الذين باعوا أرواحهم لله في سبيل حب الوطن والجهاد والاستشهاد إذا أدركوا أن طريق الحياة هو اختيار الموت فانطلقوا يهتفون:

لنا فرس لم تنجب الخيل مثله***فتحنا الدنيا يسمونه الردى

على ظهره القاني أقمنا سروجا***وطرنا إلى الرحمان في إثرا أحمدا.[2]

[1]–عبابسة حسان،صرخة في وجه الموت، ص60.

[2]–عبدالله عزام حتى لا تضيع القدس، ص16.

ويبقى الأطفال صامدون، لكن أولئك الكبار لم يتعلموا منهم الدرس، وبقوا في غيهم، وظلالهم القديم فإلى متى يتحرك الكبار، ويأخذون العبرة من الصغار، إلى متى يبقى الكبار يتفرجون، مكتوفي الأيدي، ولا يحاولون كما حاول معهم "نزار القباني" من خلال شعره لكنهم لا يفقهون.

حاولت إن أنقضكم
من الحجابات على صدوركم
من القراءات التي تتلى على قبوركم
حاولت أن أدق على جلودكم مسمار
يئست من جلودكم، يئست من أظافركم
يئست من سماكة الجدار.[1]

انه الجمود، والتخلف، والانهيار الذي ساد الوطن العربي، وحاول نزار القباني تخليصه من تلك العادات والاعتقادات البالية التي أتى عليها الزمان وشرب، ولكن دون جدوى، لقد يئس منهم، ولا يتحرك فيهم شيء حتى أظافرهم لا يحركونها، لعلها تخدش وجه الضعف فيهم، وجه الاستعباد المستبد الطاغي، إنهم قساة مثل الجدار فمن يهدمه؟

الحس المأساوي السياسي في الهجو السياسي:

الهجاء: السبُّ و تعديد المعاييب،ويكون بالشِّعر غالبا[2]، فهو فن من الفنون الشعرية، وهو ذكر مساوئ الخصم و معايبه، فالشاعر الهجاء يقوم بتقبيح صورة فرد أو جماعة أوعادة من العادات، و هو تعبير عن الاحتقار و الرغبة في الحط من شأن المهجو، و هو من موضوعات الشعر العربي في جميع عصوره[3]، وبمعناه الأدبي لا يخرج من معنى التنكيل والتعذيب حيث يتم فيه إفراغ طاقة عاطفية، يلجأ إليه الشاعر للتخفيف من الكبت

[1]–عبد الحليم مخالفة، تجليات الأسطورة في شعر نزار القباني الساسية، ص74.
[2]–إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط المكتبة الإسلامية،اسطنبول تركيا،1960،ص975.
[3]–محمد بوزواوي، قاموس مصطلحات الأدب،دار مدني، الجزائر،ط2003،1،ص289.

والحرمان لإخراج ما تطبق به النفس من المعاناة[1]، وفي شعرنا الحديث والمعاصر فقد ظهرت تلك الرؤية السياسية والأيديولوجية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث علت أصوات الحرية ومقاومة الظلم والاضطهاد، وظهر الكثير من الشعراء الذين اقتحموا عالم الشعر السياسي، وظهر نوعا ما من الشعر هو الهجاء السياسي الذي تزعمه ثلة من الشعراء وعلى رأسهم احمد مطر (لافتات احمد مطر، مظفر النواب، عبد الوهاب البياني..) وغيرهم وهذا لأنهم ملوا تلك الصور الرجعية، ومظاهر التخلف والخيانة، وتدنيس لأرض فلسطين[2].. وذلك الهجو تندرج في طياته السخرية والتهكم، والاستهزاء، لذلك فقد حفل شعرهم بالألفاظ السياسية التي تعريه، وتفضحه حتى يصبح المهجو ظاهرا ومكشوفا أمام العيان[3]، كما سخر نزار قباني من أولئك الذين يدعون العروبة، وهذا مجرد زيف على خرائط العروبة لان هذه الأخيرة تحتضر على أيدي أبنائها، وهذا ما أدى به إلى التساؤل عن تلك العروبة المشوهة إن كانت مجرد لعنة وعقاب، ومجرد سؤال يظهر ويختفي حسب ما تدعيه الضرورة يقول الشاعر:

ترتاح فوق رماله الأعصاب
إني يا صديقة متعب بعروبتي
فهل العروبة لعنة وعقاب؟
أمشي على ورق الخريطة خائفا
فعلى الخريطة كلنا أغْراب
أتكلم الفصحى أمام عشيرتي
وأعيد...لكن ما هناك جواب
لولا العباءات التي التفوا بها

[1]–احمد عبد الرحمان عقراوي، الحزن في الشعر الأموي، دار زين الحقوقية، بيروت، لبنان، ط1،2016،ص83.

[2]–نبيلة تاوريريت، القصائد السياسية لنزار قباني (دراسة سيميائية)،دكتوراه (مخطوطة)،جامعة محمد خيضر بسكرة،الجزائر،2015،ص6،7.

[3]–المرجع نفسه،ص7.

ما كنت احسب إنهم أعراب[1]

إن حس الشاعر بعروبته وصل إلى حد التعب،والتساؤل عن هذه العروبة أنها معاناة ومأساة العروبة في عقر دارها،وكأنها لم يكفها ما، لحقته من طمس وتهميش وتحريف من طرف الاحتلال، والغزو الثقافي الذي يسلبنا منها شيئا فشيئا دون إن نحس، بل إن العروبة أصبحت مجرد لباس يتقمصونه للتجميل في الحفلات والمناسبات،إنها الحقيقة المرة التي يسخر منها الشاعر في زمنه المرتاب وزماننا الأكثر ارتياب حيث يعيش الإخوة الأعراب أغراب، فيا عجب العجاب من هذا الزمان، زمان العار الذي وضعه الأعراب طوقا في الأعناق، وسلاسل تكبر الأيادي ترمي بهم في بحر الشقاق، وأفواه مكممه لا تنطق إلا بالنفاق، فيا للعار كما يقول عبابسة حسان:

عار وعار على الأعراب كلهم *** والعار أني إلى الأعراب انتسب[2]

انه العار والذل والخزي الذي ألحقه العرب بأنفسهم وتركوا كل من حولهم يستهزأ بهم، والشاعر سخر من العروبة الموءودة وقمة السخرية انه واحد منهم، إنها كلماته التي تنبئ بالمرارة والأسى، يجهر بها عاليا لفضح وتعرية الواقع المرير وهكذا وقف الشاعر "أمل دنقل" عند الواقع الأكثر مرارة يفضحه قائلا عن العروبة:

ابكي العروبة

جارتي من حلب، تسألني متى نعود؟

قلت الجنود يملأن نقط الحدود[3]

إن الشاعر يبكي عروبته لكنه في نفس الوقت يستهزأ من الحكام الذين وضعوا حدودا مصطنعة بينهم لا يمر العربي إلى أخيه العربي إلا بشق الأنفس هذا إذا ما مر لأنه في أكثر حالاته لا يمر حتى و إن كان محاصرا من الأعداء دون أكلأو ماء كغزة

[1]–نبيلة تاوريريت، القصائد السياسية لنزار قباني (دراسة سيميائية)، ص51.

[2]–عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت،ص73.

[3]–أميرة عبد السلام زايد،جدلية الشعر والتربية (القيم التربوية في شعر أمل دنقل)، ص90.

المحاصرة و لا تمر إلى جارتها في الحدود إلا عبر الخنادق لتنصر نفسها و تنصر من حولها من من العرب هكذا اقسم الشاعر "عباسة حسان " في قصيدة "أيتام على مائدة اللئام"

أقسمت بالله أن تدع الفنادق

أقسمت بالله أن تلج الخنادق

تحمل للنصر البنادق [1]

إنها المفارقة التي تصنعها الخنادق و البنادق مقابل موائد الفنادق التي يسخر منها الشاعر و يستهزأ أو يلعنها ضاربا بها عرض الحائطلأنها هي الأخرى مجرد حائط لا يسمن و لا يغني من جوع إنها ليست العروبة الماثلة على الموائد بل هي ما تحت الموائد التي تصرخ في زمن النواح و النباح كما تقول الشاعرة: سعاد سعيود قصيدة "وطني لا يروض"

نسيت عروبتنا علامات القراءة

و الكتابة

والنجاح

فلتسمعينا يا حروف

إن السنابل والفواصل رمزنا

وقد انتهى زمن النواح[2]

علامات القراءة ربما هي آخر ما بقى يجمع عروبتنا،وللأسف الشديد،نسيناها وقد كانت لغتنا العربية في الزمن المجيد تنير ظلمات الوهن، وترفع غياهب الجهل عن الغرب والعرب فلا تنسوا الجذور والأصول، فهي رمز قوميتنا وما يجمعنا من عروبة، لكن هذه العروبة الباقية المتبقية من حروف تسخر منها الشاعرة لان هذه الكلمة تحمل أكثر مما

[1]–عباسة حسان، صرخة في وجه الموت،ص60.

[2]–سعاد سعيود،عضبالسنابل،دار الألمعية،قسنطينة،الجزائر،2015،ص124.

تحمله الحروف الجامعة،إنها تسخر من زماننا من النسيان والانكسار، وفي نفس الوقت تتحسر عن تلك السنابل، الجذور النماء والخصبة والتربة الواحدة، أي الوحدة التي كانت تسود العرب فتسيدوا على غيرهم ولم يكن هناك مجال للنواح الذي ساد زماننا بالنباح، وترك شعراؤنا يسخرون، بل يهجون اولئك الظلمة الطغاة الذين أرادوا لنا الممات قبل ان نلج إلى الحياة،هكذا سخر شاعرنا "عبابسة حسان" من دعاة الشرق الأوسط الجديد الذين يخنقون نسائم الحرية في كل من فلسطين ولبنان والعراق ليواصلوا مع كل من سوريا...الخ والقائمة مفتوحة لأنهم لا يشبعون وكل يوم يزيدون ولا يشبعون انه يسخر من أمريكا ممثلة في كوندولزا رايس تلك القابلة السوداء التي تستقبل على يديها المولود الجديد (الشرق الأوسط) انه مشرقنا العربي الذي أرادوا له الخلاص والتقسيم والتقزيم في حروب دموية أهلية إنها القابلة السوداء العمياء تهتف بحياة اليهود،والموت لكل عربي قريبا كان أم بعيد إنها تريد له الموت قبل الميلاد، ليختنق بنسائم الحرية حيث يقول في قصيدة "مذكرات طيب":

رأيتني أدخلها مصلحة التوليد..
قبالتي...قبالة سوداء
رأيتها راجية..تطلب من رحم الثرى
...مولودها الجديد
ملامح مبهمة..عمياء
...تفسيرها الوحيد...
المجد لليهود..والموت للعيد
وخلقته ميتا..مختنقا..
نسائم الحرية.[1]

[1]-عبابسة حسان،صرخة في وجه الموت،ص35،36.

ويزيد من نبرة السخرية في قصيدة "لاهوان" التي يهجو فيها مجلس الأمن الذي ليس فيه أمان،والحاكم العربي الجبان كما يقول:

القاتلون...هم هم

وإنا المدان

والأمن...لا يعطي الأمان

والحاكم العربي..

...يا أسفي جبان..

لا أذن تسمع ما جرى..

لا عين تبصر أو ترى..

وأراه مقطوع اللسان

لكنني رغم العدى

سأظل اصرخ...لا هوان[1]

إنها مأساة السياسة والسخرية من السَّاسة،وهنا الشاعر يفتتح القصيدة بمفارقة، بل إن كل القصيدة هي مفارقات وتناقضات،إنها تصريعات لألحان جنائزية عن المدان البريء،والأمن الدنيء، والحاكم العربي السيئ.

فالآخرون يقتلون والإدانة للعرب فهم الفاعلون ومجلس الأمن،أبدا لا يعطي أمانا وسلاما،إلا خنوعا وانحناء كما يقول " محمد الأخضر عبد القادر السائحي" في ديوانه " مدن غازلني" عن مجلس الأمن وسلامه المزيف في قصيدة "أي سلام تدعون "

ألا في سبيل القدس شدوا العزائما***فهذا سلام الذل أبدى الهزائما

فأي سلام تدعون ها هنا***جنود لكم في القدس تفشي الجرائما

فتقتيل أطفال...وتجويع امة *** وتهويد ارض بالسلاح وبالدّما

أهذا سلام...أم هوان كراما ***أم الذل مفروض علينا..كلاهما

[1]–المرجع نفسه،ص63.

أيا مجلس الأمن الذي ليس عادلا***أفق أيها الفتى ويكفي تناوما

فان مدى التاريخ كانت حقوقنا***تطاول هذا الجور مهما تعاظما[1]

فالشاعر" محمد عبد القادر السائحي "هو الآخر يسخر من سلام الهوان وسلام الدماء والحصار والتجويع،ومن مجلس الأمن الغافل أو بالأحرى الآمر بالاّ امن ولا عدل، لأنه التابع لسياسة التطبيع.

ويواصل الشاعر " عبابسة حسان " سخريته وهجوه للعرب خاصة من خلال قصيدة "غزة والعرب" إنها في قمة الهجو والسخرية لحكام العرب النائمين في سبات عميق فلم يسمعوا صراخ غزة ولا حصارها ولا قتلاها، ولكن للعجب استفاقوا وهبوا للطلب وما في جعبتهم إلا الخطب الموسومة في الكتب والقلب، وبعد صخب بيان مقتضب تنديد بالغضب، وباعوا غزة حسب الطلب في غياهب الجب، وهذا محال لأنك يا غزة الحقيقة وهم الكذب حيث يقول في بعض من أبيات القصيدة:

حوصرت غزة

ما اهتز العرب

صرخت غزة

ما اهتز العرب

قتلت غزة

فاهتز العرب

واستفاقوا فجأة من نومهم

اخرجوا كل الخطب

من متاهات العلب

حاولوا أن يحرقوها

طالعوا كل الكتب

[1] – عبد القادر السائحي، مدن غازلني، منشورات السائحي، الجزائر، الجزائر، ط1، 2015م، ص259،260،261.

واتونا بعد جهد وتعب

بيان مقتضب

أنت ياغزة منا

قطعة من أرضنا[1]

عجبا.....ياللعجب

و على هذا تواصوا بالغضب

هددوا.....نددبوا

أرعدوا.....أزبدوا

أهدوك يا غزة

ملحمة مطلعها مبلغها

خطب.....خطب

باعوك.....ياغزة

في سوق النخاسة

باعوك يا غزة

فالحكام ساسة

طعنوك يا غزة

من فرط الحماسة

لم يعرفوك لأنك الثورة و هم الجنود

أنت الحقيقة

وهم الكذب[2]

[1]–عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت،ص64،65.

[2]–المرجع نفسه ، ص66، 67

إنها لعبة السياسة و مؤامرات السَّاسة العرب الذين باعوا غزة في سوق النخاسة، و أرادوا لها الضياع في غياهب الجب كما ضاع سيدنا يوسف عليه السلام هكذا يقول الشاعر فاتح علاق في ديوانه الكتابة على الشجر في قصيدة قالت غزة:

إخوتي أسلموني

و مالوا إلى الريح في ثقة

و قالوا غدا سوف يعزف شمسه

أو يموت من القهر في حقه

و لكنني لا أموت[1]

وهذه صرخة أخرى، وسخرية أخرى من مأساة غزة حيث يشبه مأساتها مثل مأساة سيدنا يوسف عليه السلام الذي رموه إخوته في قاع الجب ولم يمت، رغم المآسي التي مر بها وأصبح السيد والملك، وهذا ما نتمناه لغزة أي تنتصر على أعدائها المحتلين، الغاضبين وإخوانها الحاسدين وتصبح غزة المسلمين.

أما قصيدة "الصمت العربي" فان شاعرن"عبابسة حسان

" يسخر ويهجو مصر بلاد الكنانة بكلام لاذع فهي لا كيان لها، ما دامت مجرد سيف يسلط على رقاب إخوانها الفلسطينيين الذين لا تعينهم ولا تتركهم يعبرون بل إنها تغلق تلك المعابر، وكل من تمسكه، يكون مصيره السجن أو الموت بل أكثر ما تفعله إسرائيل معهم حيث يقول في قصيدة "الصمت العربي"

مصر الكنانة أصبحت لا كيان لها***زيت يصب إذا ما ضمنا اللهب

سيف يسل على أعناقنا صلفا***لكن يشل إذا ما الخطب يقترب[2]

وليس بعيدا عن النفاق والشقاق يسخر ويستهزأ شاعرنا "عبابسة حسان " ليس من دولة واحدة عربية بل إنها جامعة الدول العربي في قصيدة " البيت العربي " حيث إن

[1]–فاتح علاق، الكتابة على الشجر، دار التنوير الجزائر ط1، 20130، ص47

[2]–عبابسة حسان،صرخة في وجه الموت ، ص71.

الجامعة تضم العديد من الدول، وكذلك البيت العربي فيه العديد من الغرف الموصدةضد بعضها البعض حتى وان كانوا أبناء عمومة أبناء العم، فلم الاكتفاء، فالشاعر الوحيد مع إخوته من العرب يحاول أن يصرخ، ويستغيث حتى ولو على خط التماس لان أبناء العم باعوا القضية بالأساس، ولكن مع هذا يبقى الشاعر وكلنا معه صبيحة واحدة، وصرخة واحدة في وجه المغتصب حتى يعود البيت العربي غرفة واحدة موحدة على الحق والإيمان ويقول شاعرنا:

في بيتنا يا صاحبي

...عشرون غرفة

كل أبواب الغرف..

سكانها يا صحبي..بناء عم

فإذا ما سهم جوع بيوم..

فلهم من كل أصناف الأسى

..ما يأكلون

هكذا يا صاحبي..

صار لهم في كل شيء اكتفاء..

أو لا ترى يا صاحبي

إني الوحيد وإخوتي

من نستغيث على التماس

وبأن كل أبناء عمومتي

باع القضية واستراح من الأساس

سأظل اصرخ في وجوه عمومتي

الساكرين بغير كاس

حتى أعيد لبيتنا العربي..

ذي العشرين غرفة

غرفة..أبوابها منقوشة حرفا فحرفا

ها هنا القدس تقيم..

وهنا غزة وحيفا[1]

ويبقى بنو العمومة في تفرقة لا يعرفون سوى النوم، وان فاقوا فهم سكارى،يترنحون هنا أو هناك كما يقول لهم أسيادهم، ويبقى الدم العربي الحار دم زعاف يسيل ويستغيث، ورغم ذلك لا يميل عن النخوة العربية، ويحاول نصر القضية ولو بأشعار فتية.

ويواصل شاعرنا في هجوه وسخريته لمصر، ويضيف إليها بنو سعود وحتى المسلمين جميعا الذين ركنوا إلى زاوية الصمت والخذلان وتركوا غزة للهوان، تركب سفينة التركمان ويقدموا لها الأمان ضمان، حيث يقول في قصيدة ملحمة غزة الشاعر عبابسة حسان:

أطفال غزة بالماء تدثروا ***ونساء غزة بالصمود تعطروا

ورجال غزة للكرامة سطروا ***فلتقرؤوا بين السطور لتصبروا

لو كان في الأعراب حر واحد***هل كان يبقى مغلقاّ ذا المعبر

مصر التي بالأمس كانت منبرا***للعزة ماتت رماة المنبر

وبنو سعود يالسعد عروبة *** صمت يصبح وذلة تتبختر

والأمة المليار لا صوت لها ***مات الجميع، وان هم لم يقبروا

لا تعذلوا احرار غزة إن هم ***ركبوا السفينة ونحو ترك أبحروا

ألفوا هناك عزة وحمية ***أن يطلبوا النصر المؤزرا ينصروا[2]

تلكم هي غزة بأطفالها الذين جعلوا من دمائهم أوسمة تعلق على عناق حكام العرب المتخاذلين أَما نساؤها فهن صامدات ينثرن الشهادة عطرا، على وجوه شهدائهم وكل يوم

[1]–عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 89،90،91.

[2]– المرجع نفسه، ص69، 70.

شهيد جديد، وكل يوم يولد طفل صنديد يخلف الشهيد وينادي من بعيد نصر من الله يا عبيد أما الرجال فهم مَضْرَبُ الأمثال في الشهامة والكرامة والنخوة التي لم تمت حيث أنهم زعزعوا اسرائيل و ازاحوا ظلام الليل ليشرق وجه الصباح بالنجاح ولكن الأعراب بقيت نائمة، فكلهم فرقة و تكالب عن فلسطين، فهذه مصر قد ماتت كما مات صداها في نصرة المظلوم في الزمن البعيد و صوت أل سعود مكتوم لا يجد سوى الثرثرة، بل كل الأمة صامتة، في نوم عميق، بل سبات حتى الممات،ليوقظها الشاعر "مصطفى محمد الغماري" في ديوانه (العيد و القدس و المقام) من خلال قصيدة "يا أمتي لا تنامي"

لا تنامي يا أمتي..... لا تنامي ***حسب هذا المنام فقد المنام

لعب التيه فيك زمانا ***ولها فيك طائف الأحلام

وتملى فيك الغريب كؤوسا ***ليس الإحراج دم جامد

أمتيإن تنم عند النار رمالنا ***القدس نعزي ولا المقام[1]

إنه حال عالمنا العربي الذي يجعلنا نحس بالاختناق، ويجعل الجراح تنمو بقلوبنا نحن الشعب المغلوب على أمره والميت إلى إشعار آخر.

إنها هزائمنا التي لحقت بنا في زمن الرَّدى كما يقول الشاعر محمد مقرف في ديوان "رسائل في الحب والألم" من خلال قصيدة "زلزال في بلادي":

في كل يوم لنا حكاية

تسجل في دفتر

الأيام

حياتنا طريفة

مجموعة الأفلام

رديئة

مملوءة بالعنف

[1]–مصطفى محمد الغماري، العيد و القدس و المقام، وحدة الطباعة الرويبة، الجزائر (د.ط)، (د.س)، ص37،38

والإجرام

في كل يوم نذبح الخراف

والدجاج والإسلام

داخل قلوبنا الجراح...والأورام

جامدون كالأهرام

فنحن موتى

بقرار الشرطي الحاكم والإمام

لنصبح هياكل أضرحة من الأصنام

لقد جُرحنا...ولا ندري هل لهذا الجرح إلتئام[1]

وكل يوم جراحات العرب تزيد ولا نعرف إن كان هناك المزيد؟ وهاهي صرخة مأساة شاعر آخر على حالة أمته التي ضاعت بين الانكسارات و الإهانات، والبكائيات والتي ذاق منها الشاعر "سعد مردف" في ديوانه يوميات قلب من خلال قصيدة:"حسرة عربي"

ليس عندي سوى البكاء، وأني***ضقت منه، وضاق مني البكاء

إنني تهت، فالضياع دليلي***وانتهيتُ، في رحاب الفناء

أمتي يا ابنة الربيع المفدى***قد عراني، وقد عراك الشتاء[2]

وصرخة الشاعران عن الآلام والأهوال تنبئ عن المآسي في هذا الزمان التي أصابت الأمة العربية،فخارت قواها، وتَراجع صَداها، في سخرية واستهزاء من تلك الأنظمة التي حولتنا إلى أصنام، وتحاول اقتلاعنا مجرد أورام،فمن الملام؟ ولم يبقى لنا إلا الضياع والبكاء في محاريب الشتاء حتى الفناء اثر الجراحات الضاربة في الأعماق، التي ظلت تنزف منذ سنين، دون مُعالج للأنين، وبقيت تزيد عمقا وإيلاما حتى طفح الكيل بمكيالين. أما في قصيدة "اسم ولقب" هي وقفة أخرى، وحس مأساوي لشاعرنا"عبابسة حسان" إلى

[1]–محمد مقروف أحمد،رسائل في الحب والألم،رابطة ابداع الثقافة،الجزائر، الجزائر،د ط،2007،ص27،23.

[2]– سعد مردف، يوميات قلب، مطبعة دركي الوادي،الجزائر، د.ط،2005م، ص 25.

قلعة الشعر، التي دخل إلى محاربيها، وانزوى في إحدى زواياها الحارقة يتلظى لوعة وأسى، في بحور الشعر وقوافيه مع أبياته التي تُجافيه في أحيان وتُصافيه في أخرى، بكلمات المرارة والحسرة.التي تتقطّر دمعا ودما، على أوضاع أمتنا التي ضُربت في الصميم وطائرها المغرد يصرخ،فقلبه جريح بفلسطين وجناحاه مكسوران بالعراق وبيروت الحزين، وكل يوم تنتف ريشة من ربيع العرب المهين، وهكذا انفجر سلطان الشعر على لسان عبابسة حسان:في شاطئ الأحزان حيث تنطلق سفينة المأساة في بحور الآلام، والأوجاع لذلك"الزلزال الذي يركض تحت الجلد[1] كما يقول "نزار قباني" في كتابه "الشعر قنديل أخضر"[2] حيث يقدم فيه تعاريف ساخرة حيث يقول إن الشعر هو تذكرة السفر التي تسمح لنا بالتجول داخل أنفسنا واكتشاف أقاليم لا تغيير لها،"[3] " إنه خمر مُعتقة، وسر مفعم والشعاع يلوح من خلف الستار والحجب"[4]، أما عند "أمل دنقل" فهو المعارضة لأن الشعر هو الحلم بمستقبل أجمل والواقع لا يكون جميلا إلا في عيون السُّذج[5] فالشعر عند شاعرنا هو بطاقته الشخصية،هو هوايته هو اسمه ولقبه، فهما وجهان لعملة واحدة لا ينفصلان، إنهما ذات واحدة فهو لايستطيع أن يبقى وحيدا بعيدا عن أبراد الشعر. لأنه يقيم فيه. فهو لايسير دون قيد لأنه يعبر عن الثورة، عن التجديد، و يفضح الواقع ويعريّه ويبقى شاعرنا عربيدا للشعر لأن هذا الأخير هو روحه التي ألف واحة بدنه الشعرية ويبقى الشعر ديوان العرب حيث يقول:

إنني الشعر، والشعر أنا

كلما صحت به بعدا... دنى

قال يا شاعر مهلا

---

[1]– محمد طربية، نثر نزار قباني، دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط1، 2003، ص 46.

[2]– المرجع نفسه، ص52.

[3]– المرجع نفسه، ص 47.

[4]– فاتح علاق،الكتابة على الشجر، ص7

[5]– أميرة عبد السلام زايد،جدلية الشعر والتربية القيم التربوية،ص20.

ياأنت أنا.....يا أنا أنت

أنت للثورة مفدي

منك آهات نزار

فيك وحي المتنبي

أدنوا مني لاتدعني

قد مللت الانتظار

أنا في الأسر مقيم

دون قيد أو شراك

واثق الخطو أمشي

إنما نحو الهلاك

في دمي مليون ثائر

قال يأيها العربي عذرا

إنني روح وألفت بدنا[1]

إن هذه الأبيات صرخة للشعر، صرخة لبث الوعي عَبْرَهُ، صرخة لبعث الأمل، إنه الشاعر الذي يحاول التغيير ولو بأضعف الإيمان بشعره، وهذا لِما له من تأثير، وفعالية في التنبيه إنها صرخة، ونظرة قلقة إلى هذا العالم المترامي الأطراف حيث يتحول الشاعر إلى شمعة تضيء على الآخرين وهو شك، وضرب في المجهول، وكأن الشاعر يشعر أنه يقف بمفرده إزاء العالم، وليس لديه سلاح.

والشاعر يحاول أن يبين أهمية الشعر في الوعي فهو مثل إبرة تخدير،تنسينا الألم لبعض الوقت، وتجد في تلك الأبيات العزاء، ولكنه ليس وصفة كاملة للدواء فقط مسكِّن، أي أنه ليس ناجعا لاسترداد الحقوق، واسترجاع القدس. لأنه لو كان كذلك لما بقيت القدس أسيرة تئن تحت أقدام الغاصبين فما أخذ بالقوة يسترجع بالقوة، لكنه هو اللسان

[1]–عبابسة حسان،صرخة في وجه الموت،ص 12،11،10،9.

الأول الناطق بالمأساة، والشاهد عليها في الصفحات، ينظِم حسًّا مأساويا بأبيات وعبارات، تقع فيهم الكلمات مضطربات من شدة المآسي والأحزان والآلام.

ويبقى الشعر القلب النابض بالحياة،يبعث الوعي، ويرفع رأس العربي الذليل، ولو بالكلمات، ويمسح على جرح قدسنا الحزين ولو بالآهات التي تصيح لعلها تجد مغيث لهذا الجرح الذي هو جرحنا، "والدم دمنا، والدمع دمعنا فالجرح ليس قطرات تسيل بسكين، أو رصاصة على جلد سجين أو قذيفة في فلسطين، بل الجرح القاتل حقا هو أن ترى كل هذا، ونبقى مكتوفين، لا نجد سوى السؤال الذليل منذ عشرات السنين، فكيف ضاعت فلسطين؟ كيف يهزم الحق وينتصر الباطل اللعين"[1]، فالجرح حقا في قلب أمتنا العربية التي ضعفت وتهاونت قوتها منذ أن ضربت في الصميم وفقدت فلسطين والقدس مسرى الأمين، وبقي يصرخ بالأنين حتى أن العربي سلم بهذا الواقع المهين معرضا للّهيب والتخريب كما يقول "الأخضر السائحي":

في القدس في وسط اللهيب***تبكي وتوغل في البكاء والنحيب[2]

ويقع القدس في خطيئة الضياع هذه الخطيئة التي اقترفتها تلك الأنظمة العربية التي خضعت للهيمنة الغربية، وارتمت في أحضانها الوردية فَلعِقَتْ جرح الأسى والتقزم والتشرذم.

فكيف رضيت بالخضوع في بحر الدموع إلى متى هذا الحداد والسواد الذي تنسجه لقد تقطع بأمتنا السبب وسبحت في البؤرة الدموية في حروب يومية إلى حد الساعة لتضيف جراحات أخرى وكأن الزجاجة لم تفضَ لماذا نقبل سلامهم المزعوم, ونرفض سلام السلاح،حيث أن السلام كما يقول" **محمود درويش**" في" حضرة الغياب" :سلامنا المكشوف كرائحة الفواكه"[3]لماذا بقى للعربي سوى الأحجار يدافع بها عن نفسه، وأطفال

[1]– ينظر: عبد القادر السائحي، من عمق الجرح يا فلسطين، ص5.

[2]– المرجع نفسه، ص 21.

[3]– محمود درويش، في حضرة الغياب، ص 37.

صغار يشد بهم الظهر،,فهم صوت الأمة وضميرها، إنّه صوت واحد يقاتل وحده، ويناضل وحده ليس له أخوة ينصرونه ولسان حالهم يقول مع "**محمود درويش**"

أنا يوسف يا أبي

إخوتي لا يحبوني،لا يوردونّي بينهم

يعتدون علي ويرمونني بالحصا والكلام[1]

ومع:"فاتح علاق قصيدة "فالثغرة"

أنا يوسف يا أبي

إخوتي أسلموني إلى الذئب

وانتثروا في البراري

وجاءوا أبي بدم صادق ثم غابوا

إخوتي سلموني

وباعوا دموعي

وباعوا شموعي

ولم يرأفوا بالوطن

ومانكسرت أضلعي يا أبي

وها أناأتململ بالتراب

أمزق هذا و الكفر[2]

وبقيت فلسطين وحدها تبكي القدس وغزة وأحجارها مثلما بقي يوسف وحده في غياهب الجب ,إنها اصدق تعبير عن الاستكانة العربية، إنّه الفلسطيني المضطهد من إخوته العرب، يعتدون عليه بالظلم والعدوان، ولايرودونه بينهم، بل يتآمرون عليه بل يطاردونه،في صولاتهم وجولاتهم التي تنوءبالعصبية مثل سيدنا يوسف عليه السلام،هذا

[1]–عمر أحمد الربيحات، الأثر التوراتي في شعر محمود درويش، ص 126.

[2]– فاتح علاّق، الكتابة على الشجر، ص51،50،48.

الرمز الديني الذي يمثل فلسطين ولكن يوسف عليه السلام عُذِّبَ وهُجِّر وسُجن وفي الأخير عز و كرم كما يقول الشاعر "فاتح علاق " من نفس القصيدة "وقالت عزة":

ذلك تأويل رؤيتك من قبل يا أبتي قد تجلى.

فهات جبينك كي أتملي

جراح الزمان

تصبح أحلى

ن'ص'ر.[1]

إنّه النصر يتجلّى ويتحلّى، وهذا ما نؤمله في أن تعزز فلسطين،وتسترد كرامتها المسلوبة،وأن تحط حمائم السلام على كل أغصان فلسطين، سواء من الزيتون أو الأغصان الأخرى وتشيع وتنكشف الغمة عن هذه الأمة، فهل من عبرة يا أيها الألباب؟؟؟، فكونوا أصحاب عقول وبيان وليس مجرد غربان تتكاثر وتصيح، ولا تعرف الصحيح.

وتأسيسا على ما تقدم فان لأمة العربية توجعت من أوجاع ابنتها الفلسطينية، التي ابتاعها الخونة والمتآمرون من وراء البحار على موائد القمار في سوق النخاسة إنها ساسة اليهود والسَّاسة ورغم ذلك،فإنّ هناك شعاع الأمل مع طفل الأحجار ويواجه الأشرار ليجني الانتصار حين تقاعس الكبار، ويغسل بدمه المدرار العار ويصرح عاليا كالنار، تحيا الأحجار لتزلزل اليهود والتتار، بقوة القهار، وتبقى فلسطين القضية والقدس ابنتها السبيّة، وغزة فتاتها الأبيّة،وأحجارها وطفلها هدية وترجع عزيزة هنيّة.

[1]–فاتح علاق،الكتابة على الشجر ، ص52.

الفصل الثالث

الاتجاه العربي الاجتماعي الديني

الحس المأساوي العراقي:

"العراق" أصل الحضارة، ومنبع العلوم وأول بلد عرف الكتابة، والعلم وأول من سن القوانين، وكان إشعاع نوره أن ملأ الأرض، وعمّ خيره بقاع الدنيا، وبعد قرون من أمجاد العراق الأوائل عُرِفت "بغداد" دُرَّة العواصم، وأجمل مدن الدنيا، عُرفت بمدينة المنصور، فيه عُرف الفن وزها الشعر[1]، لكن قدر العراق الحزن والأنين منذ أبعد السّنين، حيث أنها كلما قامة لها قائمة، وازدهرت، إلاّ وتأتيها مصائب، وكوارث من اجتياج وعدوان وهمج تقصم الظهر، هذا إذا لم تتركها خراب ومع هذا كله فإنها تنهض من جديد وتعاود ازدهارها وأمجادها ولا عجب أن يتألم الشعراء لأهوال تلك الوقائع القاصمات والضربات الموجعة، وتتحرك قريحتهم الشعرية تروي عذاب الأنين للعراق الحزين منذ سنين، ليجسدوا من خلال ذلك الحس المأساوي العراقي، الذي طغت على موسيقاه نعمة الألم العميق المنسجم مع هول المأساة، التي تضطرب في ذات الشاعر، ويحسها ويراها في كل الأجزاء، ومن هؤلاء نجد "شمس الدين الكوفي"، الذي عايش المأساة وتألم، واعتصر قلبهُ حزنا وهو يبكي بغداد العراق، وكانت الشكوة تنبعث من آهات قلبه المشحون بالأسر والألم حيث يقول:

أَحبابَ قَلْبِي نَأوا فَالدَمْعُ يَسْتَبِقُ***وكَمْ سَأَلْتُهُمْ رِفْقًا فَمَا رَفَقُوا

ضَاقَتْ بِي الأَرْضُ مُذْ جَدَّتْ رِكَابُهُمَ***وأَظْلَمَ الجَوُّ فِي عَيْنَيَّ والأُفُقُ

بَاتُوا وجَفْنَي مَقْرُوحٌ ودَمِي مَسْـــــ ***فُوحٌ وقَلْبِي مَجْرُوحٌ ومُحْتَرَق[2]

ينقل لنا الشاعر صورًا حيّة حزينة متألمة يذكرُ فيها أحِبتهُ الذين ابتعدوا، ورحلوا فتسبقه دموعه فكانت مأساته تنبعث من الحزن المشحون بالأسى والألم العميق ولاغرابة فهو الذي سُمي بشاعر "مأساة بغداد" أو "نكبة بغداد" فهو الشاعر المحترق بألم وطنه

[1] يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، دار مجدلاوي، الأردن، عمان، ط1، 2008، ص 201.

[2] أحمد علي فلاحي، الإغتراب في الشعر العربي وفي القرن السابع الهجري، دراسة اجتماعية نفسية، دار غيداء، عمان، الأردن، ط1، 2013، ص 206

وبقيت نعمة الحس المأساوي في العراق تسري إلى غاية عصرنا الحالي الذي ازدادت مأساتها شَدةً، وعُمْقاً في بحور الدم الطائفية: (الشيعة، والسنة والكردية)، وممّا زاد الطّين بلّةً، الاحتلال الغاشم لأراضيه، ونفطِهِ، وخيْرَاتِه، فهناك الكثير من الشعراء المعاصرين الذين بكَوْ بلدَهُمْ بحرقة وألم شديد، منهم الشاعر العراقي "السياب" الذي تفرّد بألمه الخاص، وصوته الحزين يتأوّاه على عَراقِهِ البائس بين أيدي الغاصبين قائلا:

آه على بلدي العراق

جثثٌ هنا، ودمٌ هناك

ماذا تُخلّفُ في العراق، سوى الكآبة والجنون[1]

حقا إن صُور الجثث والموتى تبعث على الكآبة إلى حدِّ الجنون كما أن نعمة المأساوية قد استفحلت قلب الشاعر "يحي الشعاوي" قائلا:

وطني ليس هندوسيا

ولم يمت بعد

فلماذا يُصرون على إحراقه حيًّا[2]

إن الشاعر يعلن عن مدى سخطه، وتدمّره، وألمه من الذين يرودون حرق الوطن، فالهندسيون فقط هم من يحرقون جُثَثَ الموتى.

فلماذا الإصرار على حرق الوطن، والجواب هنا مؤجل لأنهم مهما عملوا فالوطن حَيٌّ، يَنْبُضُ في كل رعشةِ الصباح، وقطرة ندى، وبُكاء صَبِيّ.

ونقف عن صرخة"

[1] أحمد سيف الدين: ظاهرة الحزن في الشعر العربي الحديث، مجلة جامعة البعث، المجلد37، العدد 10، 2015، ص 144

[2] حسين سرمك حسن، اشكالية الحداثة، دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط، 2016، ص 210

عبد الوهاب البياني "عن النار والموت في بغداد قصيدة "إلى جواد سليم":

النّارُ في الرماد

والموتُ في بَغْداد

ونشْرَة الكون وحزب الصمت والأبعاد

والقلق اللاهث والحمّى التي تقصف في ربيعها الأوراد

حرائق الليل التي لا تنطفي[1]

كما بكا وتألم لحال العراق خاصة بعد الاحتلال الأمريكي لها الكثير من الشعراء الجزائريين الذين توجعوا لها، ولأمر العرب الصامتين دائما، ولا يحركون ساكنا، وكما دار الزمان على العراق، وغيرها، فكذلك يفعل معهم، فاتعظوا أيها العرب، ومن الشعراء الذين بكوا حرقة بغداد الشاعر "سعد مردف": قصيدة "بغداد الجريحة"

أَعْيَا فُؤَادِي مَا اعْتَرَاكَ، وهزَّنِي ***ذاكَ العَذَابُ كَأَنَّهُ الجَفَنَاتُ

حَتَّى ما انظُرَ فِيكَ مَالِي حِيلَة ***إلاَّ الشّكَايَة هَلْ تُفِيدُ شكاةُ؟

لاَ زِلْتُ جُرْحًا للعُرُوبَةِ نَازِفًا***يَنْزُوا، كَأَنّ رُعَافَهُ الجَمَرَاتُ

فِي أُمَّةٍ مغمورَةٍ فِي وَحْلِهَا ***قَدْ قَادَها مِنْ شَعْبَهَا الأمْوَاتُ

هُمْ بَعْضُ أُضْحُكَاتِنَا فِي طَيّهِمْ***شِبْهُ الدُمَى مَا فِي الحسُومِ حَيَاةُ

قَدْ أَوْرَثُونَا الذلَّ، إلاَّ أَنَنَا ***مِنهُم بَرَاءُ، مَا نَظِلُ عدّاة

فَإلَى مَتَى أَرْضُ العِرَاقِ كَئِيبة؟ ***وإلَى متَى شَعْبُ العِرَاق شَتَلاتٌ

وإلاَمَ حُكَّامُ العِرَاق ضِيَاعة ***للغَاصِبِين، وسِلعة مزجاة[2]

حقا إن القصيدة لتنوء بالكلمات، إنه موقف الشاعر الجزائري المتألم على "بغداد" الجريحة بألسنة حداد من أمريكا، وبريطانيا فتركوها كالجُثة طريحة تشكو الفرقة والشتاتْ

[1] علي حداد، منطق النخل (استدعاءات قرآنية في الشعر العراقي الحديث)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د،ط)، 2008، ص113

[2] سعد مردف، يوميات قلب، مطبعة دركي، الوادي، الجزائر، (د،ط)، 2005، ص46-47

والدّم فيما بينهم كل يوم يَقْتَاتْ، إنها صرخة التعب التي أنهكت الشاعر، وهزت فاجعة بغداد قلبه وكل كيانه، لكنه لا حول له ولا قوة، فهو لا يملك سوى الشكوى والنواح على الجرح الذي ينزف دائما دمًا وجمْرًا في بغداد، والعرب واجمة لا تتحرك جامدة في وحلِها،فما أولئك القادة الميتين الذين هم عبارة عن دمى (عرائس) تحركهم يد الغرب كيفما شاءت، بل هم نُكَتٌ تتبادلها الشعوب فإلى متى والعراق حزينة ذليلة تلعق جرح الأسى كرّات وكرّات، بل مرات متتالية، والجواب إلى شعارٍ آخر

إن هذه الآلام الجسيمة، والخطوب العميقة أثارت قريحة شاعرنا "عباسية حسان" الذي احترقت ذاته الشاعرة عن بلاد الحضارة والتقدم فألقى أبياتا من الشعر يدنى لها الجبين، وتبكي لها العين عن عراقنا الحزين من خلال قصيدة "بنت العراق" التي يبث فيها مواجع قلبه على حرائر العراق اللاتي يعشن الآهات، ويتجرع الزفرات والويلات من جهة الاستعمار الذي استباح كرامتهم وأرضهم وعرضهم، ومن جهة ثانية، فقدهم إلى فلذات أكبادهم في تفجيرات دموية، وحروب طافية ليس لهنَّ فيها ناقة، ولا جمل، فتحسّر الشاعر كثيرا على تلك الدموع الحارة التي تذرفها بنات العراق من خلال خطابة الموجة إلى احداهن، فهو يحسُّ أنه هو المقتول، خاصة أنه ليس له أي حول، أو قوة إلى نَصْرَهُنَّ في هذا الوقع الشديد، وليس هناك دليل يأخذ بيده، وحتى الخرائط قد تغيرت، وزادت ونقصت كلّما أصاب العراق الذل والهوان في صحاري الغزو والاغتصاب، إنه لا يستطيع أن ينظر إليها وهي تخضع إلى الذل والمهانة، فقلبه المحترق، ودماؤه العربية لا تتركه ينام مرتاح الضمير، ولا يستطيع نصر العراق الذليل، حتى وإذ سال دمع العين، فما نفع هذه الدموع إذا لم تَنْهض وتنتفض، وتفزع، وتغضب لعرض حرائرنا المهانة، وما نفع لسيوف وهي باقية في غمدها، إذا لم تخرج وتُسْتَلُّ في وجه المحتل، كما أن الخيل إذا لم تعدوا وتصهل في ميادين القتل، فهي ليست بخيل ولا تنفع هي الأخرى لأنها تكون حبيسة أو أنها ليست بخيل مجرّد بِغال وأحمرة يتحلّلها ويركبها حمار أو بغل ليس له نخوة أو حميّة مثل

عصرنا الحالي الذي يشكو من موت النّخوة والضمير، كما يشكو، وينوء بالعصبة، بل ينفجر حرقة لأولئك القادة من العرب الحمقى، بحمقى السياسية واللّعب باوراق التامر

لا يهمهم سوى تلك الكراسي، واصبحوا عُملاء، وخونة يجرعون قوهم اخوانهم المآسي وهذا مما زاد الطين بلة فبدلا أن يكون حماة للأرض والعرض فهم الغزاة. ويقول الشاعر "حسان عباسة"

دُمُوعُكِ يَا بِنْتَ العِراقِ قَتَلَتنِي *** ولَيْسَ إلى أرْضِ العِرَاق سَبِيل[1].

إذن هي تلك الدموع النازلات، كالأمطار أحرقت قلب الشاعر وجعلته كالقتيل لأنه عاجز عن ردِّ الضيم ورفع الغبن والظلم على حرائر العراق، حيث أنه ضيع الطريق، وأصبح كالغريق يريد أن يتعلق بِقشّةِ أمل تنجيه إلى سبل الأمان، وسبيله وطريقه ووجهته الوحيدة هي العراق لكن للأسف هي مفقودة، فقد احترقت الخرائط، ومات الدليل، ويواصل قائلا:

أَضَعْتُ بِصَحْرَاءَ الهَوَان خَرَائِطِي***ولَيْسَ عَلى الدَرْبِ القَدِيمِ دَلِيلْ
إذَا نَحْنُ لَمْ نَغْضَب لِعِرْضِ حَرَائِرِنَا***فَمَا نَفْعُ دَمْع العَيْنِ حِينَ يَسِيلْ
ومَا نَفْعُ بِيضِ الهِنْدِ وهِي كَلِيمَةً***ومَا نَفْعُ خَيْلٍ خَانَهُنَّ صَهِيل
ومَانَفْعُ حَرِثِي الرّكب غُمّ حَدَاؤُه***ومَا نَفْعُ حَامِي العَرْض وهُوِ عَمِيلْ[2]

فليس هناك نفع لتلك الدموع إذا لم نهتز، ونغضب، ونسير إلى نصرة إخواننا، وليس هناك نفع لتلك السيوف الحبيسة في الغمد إذا لم تخرج وتقرع أصواتها لنصرة الأرض والعرض والجهاد، كما أنه ليس هناك نفع من حاكم يبيع نفسه وأرضه وعرضه لأعدائه، ويا أسفي فكل هذا وأكثر من واقع اليوم في صفوف أمة العرب مما زادو عمق المأساة، والشاعر لم يجد في يده من سلاح سوى قصائده وجَمْر كلماته، يَصُبُّهَا على الأعراب التي لا تُحرّكُ ساكنا. ربما يكون لها نفع في أبعاد الذل، والهوان عن أمتنا وهذا ليس من

[1] عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 81.

[2] المرجع نفسه، ص 81، 82

شيمها، فقد كانت لها شأن وكرامة وإيباء ولكن اليوم هي في سبات عميق وطويل، لذلك وجب على الأمة أن تنفض على أكتافها ذل العبودية والهوان، وتخلع لباس الخضوع، وتلبس لباس العزة والوقار ورفع الظلم عن أبنائها وشعبها المهان بالاتحاد وليس الافتراق ويواصل قائلا:

أَصُبُّ على الأعْرَابِ نَارَ قَصَائِدِي ***عَسَاهَا تُزِيلُ الذُلَّ وهُوَ دَخِيلْ

عَسَاهَا تُنِيرُ الدّرْبَ فِي لَيْلِ عُرْبِنَا***ولَيْلَ بَنِي العربِ النِيَام طَوِيلْ

تَقُولِين إنك والأُبَاة قَلاَئِلُ***وما ضَرّنَا أنَّ الأبَاة قَلِيل[1]

إن قصيد "بنت العراق" هي قصيدة تقليدية تحملنا إلى أجواء الشعراء القدامى، بل إننا حين نقرأها، كأننا نقرأ لشاعر قديم خاصة حين خلع عليها شاعرنا تلك الألفاظ الضاربة في الأعماق والتي تنتمي إلى القاموس القديم مثل بيض الهند– حادي الركب غُمَّ حداؤُهُ...الخ، والشاعر تعمّد تلك الألفاظ حتى يذكرنا بذلك العصر التليد المجيد حيث كان للعرب قوّة وأمجاد في النحو، والسيف وردع الضّيم، عسانا نتذكر، ونتّعظ فنحن في ليل النوم ونهار النّسيان وكلاهما سيَّتان أدى بأمتنا العربية إلى الشتات، والانعزال، والتشرد، والهوان، وهذا الرجع الذي نطقت به جوانح ابن الجزائر البار عبابسة حسان ، فهناك جزائري آخر احترق بهذا الوجع والأنين، وهو الآخر ليس لديه سوى الاعتذار في زمن الاحتضار انّه الشاعر "محمد الأخضر عبد القادر السائحي" "معذرة بغداد"

بَغْدَادُ مَعذِرَةً.. إنْ خَانَكَ العُرَب***فَأنْت عَاصِمَة الحقّ الذي سَلَبوا

حُكَامهم جَبُنوا.. مثل النِّعَج رَأتْ***ذِئْبًا فَفَرَّت.. ألا سُحْقًا لمَنء هَرَبُوا

بَغْدَاد لَمْ اسْتَطع صَبرًا.. فَحِينَ أَرَى***مَدِينَة العِزّ.. جُرْحًا هذِهِ الوَقَب

بَغْدَاد كَيْفَ يَكُونُ الصَّبْرُ يَا وَجَعِي ***والعَرَبُ فِي دارَهمْ ذلّ ومَا وثَبُوا

لَمْ يَخْتَلِف ""بوشهم" عن بوش أنظمة***أذَلَّهَا الله حَزيًا ليسَ يَنْسَحِبُ

تَخاذَلَ القَوْمُ عن نصر العراق..وما***دَروا بأَنَّ دَمَارَ اليَومِ يَنْقَلِبُ

[1]عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت ، ص 82

ادعوا كَمْ أيُّهَا الأعْرَابُ قَاطِبةً ***أن تَنهَضُوا.. فَغدا ليستَ لَكُم حُجب

حتى مَتَى صَمَتْكُمْ.. يَا مَنْ غَدَوا سلعًا*** تُبَاعُ للنَارِ.. عُدْوَانٌ لَهُ حَرْبٌ

بَغْدَادُ قُولِي لَهُم.. إنّ النَارَ تَلْفَحُكُمْ ***سَتُحْرَقُونَ على الأسوَارِ يَا حَطَب

بَغْدَادُ صَبْرًا على العُدْوَانِ يَا بَلَدي***فَالنَّصْرُ آتٍ مَعَ الأَبْطَالِ ينْسَكِبُ

بَغْدادُ مَعْذِرَة..إنْ خَانَكِ العَرَبُ*** أنْتِ السّلاَمُ..وأنتِ العِلْمُ والأدَبُ[1]

ولم يبقى بأيدينا سوى الاعتذار لزمن الانهزام والعار والخيانة التي تدور في أورقة العرب، الذين تكالبوا وزاد من ذل العراق، ولكن الزمن لا يبقى إن الفلك يدور، والزمن ينقلب، فاتّعظوا أيها العرب، وفتح الشاعر القصيدة باعتذار وختمها على تلك الخيانة العربية، ووصمة العار، وكذلك فنحن المغلوبون على أمرنا لم يبقى لنا سوى الاعتذار.

أما قصيدة "أراك غزير الدمع" هي الأخرى قصيدة تقليدية تأخذنا إلى زمن أبي فراس الحمدان أراك "غزير الدمع شيمتك الصبر"وتأسرنا القصيدة لحد نحس فيه وكأنها القصيدة نفسها، إنها القصيدة الشقيقة او القصيدة الحفيدة التي تشبهها في كل شيء الوزن والقافية وحرف الروي، لكنها جاءت معاصرة لأحداث زمننا الحارق، ويتضح جَلَيًّا من مطلع القصيدة لأبي فراس الحمداني الذي يلوح فيها فقط تغيير كلمة (غزيز، بغزير) فالشاعر حسان عبابسة يستدعي تجربة شعرية قديمة بكل ثقلها ويحاول امتصاصها لبلورة تجربة شعرية ناشئة في عصرنا لها رؤيتها الخاصة، وتحصل المفارقة في زمن القصيدتين، وشتان بين الزمانين، فزمان أبي فراس الحمداني هو زمن العزة والقوة للمسلمين والعرب وزمن قصيدة شاعرنا هو زمن الذل والهوان، إن الشاعر حسان عبابسة يرى العراق اليوم هو عراق الدموع، الغزيرة، أما عراق الأمس (عراق أبي الفراس) هو المجد الذي يفتخر به، ويواصل الشاعر قصيدته، يعاتب الدّهر على الأوضاع المتردية لكنه في الأخير يعلم بأنه ليس للدَّهر دخل، بل نحن من اقترفنا هذا الجُرم، نحن العرب عندما تفرقنا رَكَنا إلى

[1] محمد الأخضر عبد القادر السائحي، مدن غازلتي، منشورات السائحي، الجزائر، الجزائر، ط1، 2015، ص 275، 276، 278، 280

اللهو والمال؛ إن الشاعر يشكو الذُّل الذي لحق أمته نتيجة الغدر والخيانة فمالك يا عراق سوى التحلي بالصبر. فليس في الأعراب أسود تحمي العرين فهم فراخ صغار تطايرت ريشهم،وتفرق مثلهم، بل هو خراف يسيطر عليها الخوف وهكذا تغيب الأسود ويحل محلها الفئران، و تموت النخوة والإيباء والثأر، التي كانت من قبل (زمن الحمداني) تتأجج في نفوس العرب نحو الحمية ومناصرة بعضهم. أما اليوم (زمن شاعرنا) فهو زمن الدماء التي أزهقت لحد الإسراف فما عليك يا عراق إلا الصبر في زمن الخيانة حيث يقول:

أَرَاكَ عَصَيْ الدَّمْعْ يَا أَيُّهَا البَدْرُ *** ومَجْدُكَ ملءَ السّمْعِ يَزْهُو بِهِ الفَخْرُ

تُعَاتِبُنِي أزرَى لي الدَّهْرُ بَيْنَكُم*** وَرَبَّكَ يَا إبن العَمّ بَلْ نحْنُ لا الدهر

شَكَوْتُ وفِي شَكْواكَ بَعْضَ مذَلَّةٍ *** لِشَرِّ ذِمّة فِي الأَرْضِ شَيمتهَا الغَدْرُ

لا رُوَيْدَك يَا شِبْلَ العِرَاقِ لَكَ الصَّبر***فضمَ عَادَ فِي العَرَبِ أسادُ ولا صقَر[1]

حتى يقول : بُغَات إِذَا طَارُوا تطَايَرَ رِيشُهُم***خِراف إذْ سَاروا تَمْلُكُهُمْ ذُعْرُ

كَان دِمَاءُ العُرَبِ من دُونِ غَيرِهِم ***تَطيشُ بِأَلْبَابِ المَنَايَا كَأَنَّهَا حُمْرٌ

وصَبْرَكَ يَا شِبْلَ العِرَاقِ لَهُ الصَّبْرُ***وعُذْرَكِ يَا ابْنَ العَمّ لَيْسَ لَهُ عُذْر

تُعَلّيهِ بِالنَّصْرِ والعُرَبُ دُونَه *** سَتُقْتَلُ عَطْشَانَا ولَنْ يَنْزِلَ القَطْر[2]

إنه زمن التفرقة والخيانة لدى العرب فما بقي سلاح سوى التحلي بالصبر هذا الذي يوصي به شاعرنا مرتين من خلال القصيدة، حيث يقول للعراق عليك الصبر فليس هناك أسود تزأر، بل مجرّد فئران تتأسد، وعليك الصّبر لأن الغدر والخيانة هي من أبناء العم الذي لا أحد فيهم يهتم بتلك الدماء كأنها خمرٌ تُسْكِرْ العقول، ولكن سكر بها أعداء أمتنا، إلى حد الثمالة، في كل المناسبات، وحتى الأعياد فصبرا يا عراق على تلك المواجع التي أثقلت اللسان، وأثقلت لسان الشاعر "سعد مردق" "جرح بابل".

مواجع الشرق في أحناء دجلته *** وللفرات تجلّى وجه مكتئب

[1]–عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص83.

[2]–المرجع نفسه، ص 84.

أرض الخلافة، بالية مدنفة *** وبابل السحر في حزن ونصب

سامت أراذل خلق الله بيضتنا***وجرّعتنا كؤوس الموت والشغب

متى أمنا ذئاب الغاب جائعة ***كي تحمل الحمل المضعوف من عطب

جرّعتمونا عصاصات بلا عدد ***وكدتم بالتخريب والسلب

فالله أكبر مهما الظالمون بغوا***والله أكبر من باغ، ومغتصب[1]

فالله أكبر على الغدر والظلم فمهما طال الليل فلا بد أن يطل الفجر وينتصر الحر.

أمَّا قصيدة "صرخة في وجه الموت" والتي تحمل عنوان الديوان هي الأخرى ليست بعيدة عن معنى القصائد السابقة، وهي عمودية تقليدية عبارة عن صرخة في وجه الموت صرخة في وجه الطغاة ؛وصرخة في وجه التاريخ فالشاعر يصرخ عاليا في وجه الموت ويسأله قائلا :ماذا جنت العراق حتى تأتيها؟؟، ويدخل معه في حوار متبادل وكأن الموت المعنوي يصبح شخصا مادي يحاور ويجيب، وحتى أنه يدافع عن نفسه، ليفتح القصيدة بمساءلة الموت (هذا الفزع الرّهيب) وعينه دامعة وقلبه مجرّح بالآهات والغدر للأعراب لبعضهم البعض لكنهم للنصرة نائمون لحد اليوم، ويتم في مساءلة الموت لماذا قصد العراق دون الآخرين أهو يا ترى الحب والعشق؟؟؟ لماذا قتلت الأطفال وبدّلت ماء الفرات العذب بدماء العراق.

لقد أطال قيامك يا أيها الموت في العراق أما آن الأوان لكي ترحل، وبعد هذه المساءلة الطويلة للشاعر يجيبه (الموت) وهو الآخر عيون دامعة وقلب آسف متحسّر من الأسى والذّل لأنه (الموت) الذي استقر في أرض العراق، فليس له سوى هذه البقعة التي خانوها وتكالبوا عليها فأصبح الموت عنوانا وبطاقة هوية لها وإن الموت في حد ذاته يأسف ويبكي لأنه خصّ العراقيين دون غيرهم وفي الختام فإن الشاعر يختمها بنوع من التفاؤل والأمل على أنه مهما طال وقوف الموت فإنه هو الآخر مرتحل، ومادام هناك في

[1] سعد مردف، يوميات قلب، ص55، 56، 57

الأعراب من تغلي دماء والثأر في عروقهم فسوف ينتصرون، ويطرد الموت والدماء والاستعمار من بلادهم العراق الحزين يقول شاعرنا:

سألت موتا أتى يغتال في صلف***يجزّ نحوي ما يخفي فينكشف

سألته ودموع العين تسبقني***والقلب مضنى لدى الاهات معتكف

والغدر يقتل من نوم حبائله***والنوم جرمي الذي مازلت أقترف

أما وجدت سوى بغداد تعشقها***يكاد يؤدي بك التحنان والشغف

أما وجدت سوى أطفالها لعبا***نعدها لنبات الحزن تزدلق

لقد أطلت هنا مكنا على مضَضٍ *** والضِّيق رابع الأيام ينصرف

أجابني ودموع العين أودية***والقلب يعصره التعذار والأسف

مطاطا الرأس من ذل الأسى وجلاً ***كضبية لمحت ليثا فترتجف

مالي سواكم من أهل فاقصدهم***ولست أملك من أمري فانصرف

لا تبك عين فإن الموت مرتحل***ما عاش فينا وميض الثأر والشرف[1]

إنه الموت الرهيب الذي جثم على صدر العراق بكل ثقله ودخل شاعرنا في محاورة معه كان في أغلبها مساءلة وعتاب على خصّ العراق دون غيرها، فيجيبه وهو يعتصر حزنا على تلك الخيانات والتفرقات وبؤر التوتر والدم اليومي الذي يسيل، كل هذا ترك الموت يطيل القيام فيها وهاهو شاعر عراقي ينوح على وطنه العراق إنه الشاعر جعفر العلاق (نار القرابين):

وطني

أيها الشجر النائح

إلى كم تناديك نار القرابين؟

كم ميتتة ستموت؟

أيا حلمي

[1] عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص85، 86، 87

أيها الشجن الجارح

أفي كل عام، إلى منبح أسي

وماذا يجري من

أيامك الذابح؟[1]

وختام قصائده كانت قصيدة "ثورة النعل"... هو نعل ذلك الشجاع (منتظر الزيدي) الصحفي الذي يسائل (بوش) هذا الرجل الأرعن اللّعين الذي جرّع العراق حربين وحصار مرير مازالت العراق تتجرع آهاته لحد الآن خاصة بعد أن قسمها شيعا وطوائف وألهب الفتنة بين صفوفهم ،وجعلهم يتقاتلون ويغرقون في بحر الدم ،إنها أيضا ثورة النعل حين عجز العراقيون عن الثورة ضد هذا (بوش) فاخذ نعله ورماه في وجهه تعبيرا عن التذمر، والسخط والرفض، وشاعرنا يدعو كل عربي أن يخلع نعله ويضرب به الأعداء، وهنا النعل هو معادل موضوعي للثورة أي يجب على كل عربي حرٍ أبيّ أن يثور ضد الظلم والاستعباد حتى ولو بأضعف الإيمان، إنه ابن العراق الذي ما خاف، وضربّ الطّاغية بوش الذي سقى العراق ويلات ما هي فيه،و الذي جعل من الشعوب العربية خاصة (العراق) مطيّة، وجسرا يمرّ من خلاله لقهرهم أو ذلّهم. إن بوش الحقير من أولئك الذين تشكو النّعال منهم كما يقول الشاعر ""المتنبي":

قوم إذا ضربت النعال وجوههم *** شكت النعال بأي ذنب صفعت

فالنعال إذا شكى، لأنه صُفع هو الآخر، ويقول شاعرنا:

اخلع نعالك وافعل مثلما فعل***ابن العراق الذي ما خاف وما وجل

ذاك الذي سقى بغداد علقمة ***وقبلها كم سقى من مرُّةٍ دولا

بوش الحقير أتى بغداد يخبرها***لا تبكي إذا ما كنت مرتجلا

جَاء الجواب نعال الحق ترجمه***عز السّلاح فما أحلاهما بدلا

اقذف بنعلك يخسأ كل طاغية***ظنَّ الشعوب مطايا فامتطى جبلا

[1] علي حداد منطق النخل (استدعاءات قرآنية في الشعر العراقي الحديث) إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د،ط)، 2008، ص191

اقذف بنعلك يختل الزمان به ***ويُهدك من عرفانه قبلا[1]

النعل إنه سلاح آخر استعمله العراقي في وجه الطغاة المتجبرون ،انها قصيدة إلى جانب القصائد الأخرى ألهمت قريحة شارعنا لهول ما وقع في العراق، بلاد الشّقاق والنّفاق، وعدم الاتفاق إلا على بحور الدم حتى الإغراق لترتوي به حتى ماء الفرات، ولقد كانت جل القصائد التي تدور في محور العراق تقليدية وكأننا في زمن الشعر القديم، وهنا الشاعر يحاول أن يذكر بأمجاد الماضي.

لقد تجوعّ العراق المآسي منذ ذلك الوقت ولا يزال إلى حد الآن يشرب كؤوس دم حروب أهلية وطائفية فوق مائدة أمريكا التي تدّعي أنها تحارب الإرهاب، بل إنها هي عين الإرهاب وقائدته بل أمّه وأباه اللّذان ولداه جنينا ليخرج في أحضان العرب ليقوم من أجل التخريب والقتل والنّهب إنهم الهمجيون كما يقول السماوي " أيها الهمجيون، الجنّة ليست فحم حجري، لتفتتح أبوابها بالديناميت، وليست مُسلخًا لتقوم بجزّالرؤوس"[2].

الحس المأساوي اللبناني:

لبنان بلاد الأرز والمسالمة، بلاد الأنس والمقاومة، بلاد الفن والأشعار يتحول إلى خراب ودمار نتيجة الحرب الأهلية التي ألبست لبنان الحداد لفترة طويلة من الزمن على أكبادها الذين يتقاتلون بين بعضهم البعض لتظل تنزف بخناجر أبنائها ؛لبنان، هي الحرب الأهلية،وإحدى الأماكن العربية المتأزمة هي الهوية العربية الضائعة لبنان هي الولادة المؤلمة التي خرجت من بين الأوجاع والدماء، بطريقة قيصرية محتمة، مثل كل ولادة في الوطن العربي التي لا تتم بطريقة طبيعية، إنها تتم إما بفتح بطن أو فتح جمجمة أو فتح قبر، إن هذه الأوضاع المتردية ألهمت الشعراء العرب قصائد تتندّى بالأوجاع، وتفوح برائحة الموتى، في بؤر الدّم والدموع والحروب، ومن هؤلاء الشعراء نجد الشاعر "نزار قباني" الذي أهداها ديوانا "إلى بيروت مع حبي" تكلم فيه بصراحة عن بشاعة الحرب

[1]–عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 79، 80

[2]– حسين سرمك حسن، اشكالية الحداثة، ص217

الأهلية، وحمل فيه على العقلية العربية المتحجّرة، وحمّلها المسؤولية المباشرة عن كل ما يحدث في لبنان من مآسي، وظلت لبنان تنزف بخناجر وأظافر أبنائها، فاقدة يوم، بعدم نضارتها وجمالها، فهي كل يوم ننزل إلى هوة السّحق والظلام إلا أن الشعراء راهنوا على انبعاثها من جديد من حطام الرماد يقول **نزار قباني:**

يا ستّ الدنيا يا بيروت

من باع أساورك المشغولة بالياقوت

من ذبح الفرح النائم في عينيك الخضراوتين

من شطر وجهك بالسكين[1]

وهنا يتساءل نزار عن الذين أنزلوا لبنان إلى قاع الجحيم، وتركوه بركانا يغلي، ويفجر حِمَمَه النارية بين أبناء شعبها الواحد، وفي حقولها الخضراء، بل إن نزار جعل نفسه واحدا من الذين يتحملون مسؤولية ما حدث بين الإخوة الأعداء قائلا:

نعترف أمام الله الواحد

أنّ أهديناك مكان الورد سكّينا

نعترف أمام الله العادل

أنا راودناك.. وعاشرناك.. وضاجعناك.. وحملناك معاصينا[2]

ويقول الشاعر "الأخضر السائحي":

لبنان، ما انحدرت على خديك دمعة شاعر

إلا ليغسل قلبك الشلال

على قم الأحزان خدّ دوجة العروبة

في دُجَى التمزيق والمسخ الدنئ للظالم[3]

---

[1] عبد الحليم مخالفة، تجليات الاسطورة في اشعار نزار قباني، منشورات السائحي، الجزائر، الجزائر، ط1، 2012

[2] المرجع نفسه، ص 85،86.

[3] محمد عبد القادر السائحي، من عمق الجرح يا فلسطين، ص99

إنها لبنان التي اكتوت وشربت كؤوس الردى والاقتتال بين أبنائها الجهّال في حروب عمياء حتى الزّلال.

لبنان هي أخرى أثارت شجون شاعرنا "عبابسة حسان" فتأثر لألمها وراح يحاكيها، وهو يعتذر على الوقع المصاب، الذي تأمرت عليه الوشاة والخونة، وكما تقطع سبل الشاعر إلى العراق ،هاهو مرة أخرى يضيع في بيروت، وكأن السّبل في دروب العرب كلها اتفقت على أن لا تظهر بل تختفي، وتتمحي مثل خرائطها، وتبقى وحيدة لا منافذ ولا جوازات ولا هوية، وحدها الأبيّة تقاتل، والشاعر محرج إزاء بيروت التي أرهبته مناظرها المدمرة، بل إنها ألمته حتى أدمنته، وأصبح فتيلا في ساحات العشق والصّباية لبيروت الثائرة، فهو الميت في أرضها حيث يقول "أنا وبيروت"

أبيروت... كيف اعتذاري إليك
وكل الشواهد فيك..
ومنّي الوشاة عليّ
أبيروت كيف القصاص لديك
أبيروت كيف السبل إليك
دوني الجوازات قد صودرت
وما عدت أملك.. حتى الهوية
أبيروت أحرجتني فوق ضعفي
أبيروت أرهبتني فوق خوفي
أبيروت ألمتني.. واجترأت عليّا
أشكوك منك إليك
أنا العاشق الوحيد...لتلقى
تبعات الهوى... على راحتيّ؟
أنا الثائر الوحيد... لتغدوا

..قبلة الخانعين التي

أنا ميت من ألف عام[1]

كما أفرد شاعرنا بيروت بيت من الشعر خلا ل قصيدة "صرخة في وجه الموت" حيث صوّر الموت مثل الأحجية أي مثل اللغز وأصبحت بيروت اللغز الذي يجب حلّه، فما وجد حلاّ إلا في إثنان، وأحلاهما مر إنهما الموت والتلف (الدمار) يقول:

ورُحْتَ تَحْبُكُ مِنْ بَيْروتَ أحْجِيَّة*** فِي حِلّها المَوْتَ أَو فِي تَرْكِهَا التَّلَفُ.

والشاعر أمل دنقل هو الآخر راح يعزف على قيتارة الحزن البيروتي اللبناني من خلال ديوانه "العهد الأتي" قصيدة "سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس"

لبنان فوق الخريطة

والبندقية تدخل كل بيوت الجنوب

تستعيد المواني‌ء لمن سقطوا في الحروب[2]

كما وقف شاعرنا عند "مجزرة قانا(2)" تلك المجزرة الرهيبة التي تبقى كشاهد عيان على همجية الاحتلال، حيث قامت فيها القوات الإسرائيلية بغارة جوية قصفت فيه مبنى مكون من ثلاث طوابق وذلك في حي الخريبة بالقرب من قانا جنوب لبنان، وتضاربت الأقوال حول عدد الموتى، لي.صل فيها إلى خمسون شخص، بينهم سبعة وثلاثون طفل، يتساءل فيها شاعرنا عن تلك المجزرة، هل تستطيع أن تحيي الدماء العربية الميتة والتي مات معها الضمير، ألا يدرون بأن العرب على ما هم فيه يمثلون مجزرة، بل مجازر تستعر، وتُذكَّى بلظى المجازر القادمة، فحياة العرب كلها مجازر يقترفها الغرب وحكام العرب في الشعوب المغلوب على أمرها، والتي تقتل شعبها بدون رحمة، هي مجازر الحيُّ فيها ميت، والميت حيّ، وهذا من هول وقع المجزرة، والحكام يمارسون سلطتهم،

[1] عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 76، 77.

[2] أميرة عبد السلام زايد، جدلية الشعر والتربية، (القيم التربوية في شعر أمل دنقل)، دار العلم والإيمان، دسوق، مصر، ط1، 2011، ص95

وسطوتهم، ولا يتركون مجالا للتكلم عن تلك المجازر، أو عن تلك الوقائع المخزية للواقع العربي فالأقلام كلها ملكا لهم، والأفواه مكمَّمة لا تتكلم، إنهم يطلبون منهم دائما الصمت كما صمت هؤلاء الحكام على أمر العراق وفلسطين ولبنان، والكثير الكثير، ولا يحسنون سوى الثرثرة، إنه واقع المثقف والأديب والشاعر في زماننا لأنه الناطق والشاهد على تلك الأحداث لذلك يطوق بسلسلة من حديد ونار، قلمه مؤمم وفمه مكمّم إلى أجل آخر يقول شاعرنا "عبابسة حسان" "مجزرة قانا 2"

هل ترى...تحي دمانا المجزرة

وكم ترى تلزمنا من مجزرة

وكلنا... في كلّنا

...مجازر مستعرة

مجزرة قادمة

...تحكي لأخرى مدبّرة

أمواتنا... أحياؤنا

أحياؤنا...أمواتنا

أقلامنا مؤممة

أفواهنا مكمّمة

والصمت يشكو الثرثرة[1]

إنها إذن الحرب الدموية الأهلية التي سحقت لبنان الأخضر بأشجار الأرز التي تكسوه، وينعكس ذلك على وجه السماء حتى الغيوم تبدوا كذلك، وتحوّل لبنان إلى بحيرة من الدماء الأخوية، ولم تستطع تلك الغيوم التي اسودت بنار الحرب أن تغسل وجهها الكئيب، فهل من منجد يجيب لهذا النداء الذي يحرق الأكباد ويحرّك الصرخات والآهات

[1] عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 75

إذن هو لبنان الجريح، طفل كسيح، يصرخ ويصيح (مسلمون، شيعة ومسيح) يتقاتلون بين ميت وضريح تائهون في الكون الفسيح، ذاهبون في مهبّ الريح.

الحس المأساوي الإسلامي (الشيشان، الصومال)

الصومال: بلد الحرب والدماء بين الإخوة الأعداء، إنه الموقع الاستراتيجي كان وما يزال أعظم الأثر في شأنه السياسي حيث امتدت إليه الأطماع منذ زمن بعيد لأَطماع الفرنسيين والإيطاليين واليوم هو تحت أنظار أمريكا الطّغيان، إن هذا الموقع فتح عليه باب الاحتلال، والتآمر عليه، ممّا أدى به في النهاية إلى تمزيقه، لأنه كان مسرحا لصراعات إقليمية ودولية خاصة فإن الصومال يشرف ممّرمائي مهم: أصبح الآن بؤرة الصراع، أما

الشيشان: البلد الإسلامي الذي رابط وجاهد في سبيل دينه، حتى نصره الله، فقد كان هناك جهاد ضد الكفرة، حيث أن الشيشان واجه الاحتلال السوفياتي بكل بسالة، وإيمان وهو يصارع الجوع والحصار حتى الانتصار والحقيقة أن الشاعر لم يفرد لهما قصائد بعينها فقد كانا من البلدان مجرد وقفة، وإطلالة على الحس المأساوي الإسلامي

ويقول شاعرنا "حسان عبابسة" قصيدة "تبت العراق"

واسْمَعُ فِي الشّيشَانِ رَجْعَ مَوَاجِعِ *** لِتَرْنِيمَةِ الصُومَالِ وهِيَ عَوِيل

لِتَرْنِيمَة الصُومَال إذْ قَالَ عَاتِبْنَا***أمَا عَادَ في العُربِ الكِرام خلِيل[1]

إنّ مواجع إخواننا المسلمين هي مواجع لكل مسلم حرّ مؤمن بعقيدته التوحيدية لنصر إخوته المسلمين، والشاعر من هؤلاء الذين توجعوا لتلك الآلام والمكابدات الشيشانية تحت أقدام السوفيات، وهي المواجع هي نفسها في بلد الصومال وهي اشد وقع لأنهم يقتلون مع بعضهم فرحى الحرب تدور في رحى الحرب الأهلية، وهاهو الصومال يعاتب العرب على التخاذل والتكاسل، وعدم النصرة، ويبدوا أن هذا شيئا طبيعيا، بل أصبح مسلّمًا به عند العُرب على عدم النصرة، وكأن العرب أصبحوا بلا قلب، يجتمعون على

[1] عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 81

التفرقة ويتحدون على أقداح الدّم والاقتتال، ولا يعرفون الدور على من: العراق، سوريا، اليمن...؟؟؟

إن ظاهرة الحس المأساوي السياسي قد فرضت نفسها لأن تكون جزءا من العمل الأدبي في المنجز الشعري، فقد وجد هذا النوع منذ العصر الجاهلي، وخاض في بحاره الكثر من الشعراء نتيجة لسوء الأحوال السياسية التي تنعكس آثارها على المجتمع والبلد، وفي عصرنا الحالي استفاضت ترنيمة الحس الماساوي السياسي لتطبع المشهد العربي بكل لحظاته الساخنة، وتنوء عن فحوى أحداثه المؤلمة والحزينة، وشاعرنا "**عبابسة حسان**" وليد عصر سياسي مأساوي، تمخضت على أشعاره نغمة الاسى والأنين في مخاضٍ عسير عن واقع مخز فاضع مرير،نتجت عنه، ولادة مؤلمة لقصائد تقطر دما، ودمعا وآلاما لحال أمتنا، وهذه الولادة لم تكن طبيعية لذلك المخاض العسير بل هي ولادة قيصرية، بترت رحم الأمة العربية لتعبّر عن آلامها وأحزانها الدفينة منذ أن ضاعت فلسطين الأبية وابتيعت بين أيدي الهمجية وهاهو لا يزال قدسها الجريح ينادي ويستغيث، ولا رجع للصدى ولا مغيث يرد، فالعرب واجمة في بؤرة التخاذل والعجز والتفرق ولا يتحدّون إلا من أجل الوشاية والمؤامرة على إخوانهم، إنها مأساة تلك الحروب الأهلية الدّموية الطائفية في جزر الانكسار والانهزام ولتغرق في الدم والدموع، ولا أحد من أهلنا يهتم، فكلهم في ألم وتفرقة وبعيد عن السنة والكتاب فما يكون جوانبا يوم الحساب أيها الأحباب.؟

لقد كانت فلسطين ولا تزال قلب الأمة العربية المجروح الذي ينزف منذ سنين، أما العراق المشتعل فهو الرئة التي تتنفس و تحيا بها ولبنان هي الأكباد التي تسبح في الدماء، والصومال جناح مكسور إلى نصفين ويريد العودة والشفاء والشيشان الرابطة المشيمة للأخوة الإسلامية.

الاتجاه الاجتماعي :الأدب نشاط اجتماعي يبدعه مبدع ينطوي تحت لواء المجتمع الذي يعترف به نتيجة للعمل المقدم، و الدور المنوط به في تطور الحياة الاجتماعية [1]، وعلى ذالك أصبح الأدب صورة من الحياة الكاشفة عن علاقة الأديب ببيئة سلبا أو إيجابا، ويعد الشعر لونا من ألوانه يغوص في أعماق حياة الإنسان العملية المملوءة،بروائح العرق، ومذاقات التعب، وصرخات الظلم والبؤس وأهات الصغار،وأنات الكبار لعلل اجتماعية كثيرا ما نخرت المجتمع وأساءت لأفراده،وهكذا يكون الشعر جسرا ناقلا للحياة الاجتماعية ليعبر عن حالة نفس،أو جماعة في حقيقة ما أو مجتمع معين

والشاعر العربي،ومنذ العصر الجاهلي كان مرآة عاكسة ينفعل،ويتفاعل ويعبر عن ما هو موجود،فنجده من جهة أنه يتغنى بصحرائه وخيمته،أو يجدو بحروبه وبطولاته،وشجاعته،أو متعاطف مع من أحب حتى ولو كان الحيوان كالناقة والفرس،و في الأنس وضد الأعداء[2]، ومن جهة أخرى يكون متألما لفقد عزيز،أو مهموما لضنك العيش،وانتشار الفقر والبؤس،كما انه يكون حزينا على أوجاع الدهر والحروب،وكذا أنواع الكروب التي تصيبه،فالشاعر يخضع لمجتمعه،يشدوا لشدوه،ويحزن لحزنه،ويمثل " نزاع الفرد مع نفسه،هذا النزاع الذي بدوره ينعكس إلى نزاع مع المجتمع،ليتطور فيغدوا نزاع مع الوجود والقدر والمصير،فالتجربة الشعورية تنطلق مع الواقع، و لا تكتمل حتى تعانق الواقع الاجتماعي و تحلّ فيه"[3]، ليبقى الفرد رهين مجتمعه الذي يعبر عنه بكل ما جاشت به قريحته نحوه،متقلبا بين نشوات الفرح وانين الأحزان،محاولا ملامسة صفو المجتمع،وتكدره في الوقت نفسه. وشاعرنا "عبابسة حسان "،واحد من أفراد مجتمعه الذي تأثر به كثيرا وتعاطف معه أكثر نتيجة لانتشار بعض الأمراض الاجتماعية والتي لطالما

---

[1] ينظر : إبراهيم السعافين،خليل الشيخ،مناهج النقد الأدبي الحديث،الشركة العربية المتحدة والإرادات،القاهرة،مصر ،ط2،2013،ص94،95

[2] حميد آدم توني،الشعر الاجتماعي،الأسرة في الشعر العربي،دار الصفاء،عمان، الأردن،ط1،2008،ص11,

[3] أحمد علي فلاحي الإعتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري (دراسة اجتماعية نفسية)،دار عيداء،عمان، الأردن،ط1،2013،ص51.

أساءت كثيرا للفرد والمجتمع،فانفعل وتفاعل معها وأحسن بمأساويتها إحساس الشاعر الواعي،والمدرك لتلك الأضرار والآثار الناجمة عنها،فتأست قريحته الشعرية تتندى وجعا وحسرة بأبيات مؤثرة ومتألمة على بياض الصفحات،رافضة بتلك العلل بجبر الكلمات،ساخطة على تلك الآفات ناطقة بالآهات على تلك المفسدات.

1- مأساوية الطفولة المسعفة :

ومن بين تلك العلل الاجتماعية التي وقف عندها شاعرنا "عبابسة حسان " هي "الطفولة المسعفة" هذه الأخيرة التي كان متعاطفا معها لأنها ليست لها ذنب،وساخطا عمّن كانوا السبب،ونحاول ولو بطرف خفي معرفة مفهوم الطفولة المسعفة المكونة من لفظتين:

الطفولة :منها الطفل : المولود ما دام ناعما و طَفُلَ طفولة : نَعِمَ ورقَّ وصار طفلة وجمعه أطفال[1]وفي التنزيل العزيز ﴿وَ إِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحِلمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾[2] وقوله تعالى ﴿الطِّفْلُ الذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾[3].

الإسعاف:قضاء الحاجة والإعانة، وأسعفه على الأمر أي أعانه وساعده.[4]

والطفولة : هي البراءة والسذاجة والدالة على مافي الطبائع البشرية من خير وعفوية وطهارة وإنسانية صافية متحررة من كل الشوائب[5].

و "الطفولة المسعفة " هي مرحلة عمرية معينة تتعلق بالأطفال الذين لم يصلوا مرحلة الرشد، ونظرا لعوامل مختلفة وقعت حائلا أمام تلبية حاجاته والاهتمام تخلى الأب عنه ثم الأم التي ليس لها اختيار سواه[6].

---

[1] سورة النور، الآية: 59.

[2] سورة النور، الآية31.

[3] خريف صارة، سلوكات عدوانية لدى المقيمات بدار الطفولة المسعفة (دراسة ميدانية بدار الطفولة المسعفة بنات)، ماجستير، مخطوطة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ص 43.

[4] محمد بوزواوي قاموس مصطلحات الأدب، الجزائر، ط1، 2003، ص170

[5]خريف صارة، سلوكات عدوانية لدى المقيمات بدار الطفولة المسعفة، ص43.

[6] المرجع نفسه، ص44.

هذه البراءة التي أثرت كثيرا في شاعرنا "عبابسة حسان "فراحت مشاعره تنسجها قصة مؤلمة يرويها لسان أم تخلت عن ابنها ؛ حيث أنها تبادلت الغرام، فوقعت في الحرام في تلك الأيام الخوالي مع رجل الأحلام، ويختفي مثل المنام، وتبقى وحيدة تعاتب وتلوم نفسها عن طفل الأيام، الذي كبر في الأحشاء وهو غير ملام، فتتمنّى الموت وتنشرب السقام، فهي تتعرض للسّب، والتّجريح لأنها أم ابن دون أب مثل المسيح، والتصحيح.، المسيح معجزة، والطفل جريمة مفزعة، وهاهي تعاتب نفسها و تبيح عن مصير الطفل الجريح لتبين الخطاء والصحيح، وتتساءل. إن كان الطفل يغفر الذنب كالمسيح، وإن ماتت هل يلعن ذلك الضريح..؟؟ يقول عبابسة حسان[1]:

يا حبيبي يا مليح
كيف تنسى ذات يوم...
عندما فيه التقينا
وجلسنا عند ظل نستريح
وظحكنا ولعبنا...
وأكلنا وشربنا...
وتبادلنا الغرام.
فسقطنا في الحرام
وتلاشى طيف ذكراك بعيدا في الظلام.
بقي قلبي جريح.
ومضى يوم فيوم.
ومضى شهر فشهر.
وإذا بالحمل يكبر.
وأنا من هول عاري استتر .
وأتى وقت المخاض.
أتى من عالم المجهول.
.....للمجهول.

[1] عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ، ص 38، 39.

.....طفل كالمسيح.
لم يكن عيسى... سوى معجزة.
لم يكن طفلي... سوى عرضي أبيح.
وتركت الطفل وهما كالسراب.
.....لست أدري ما المآب.
.... كيف يحيا؟
أشريدا هائما...
.... أم إلى حي الطفولة.
أم يلاقي عندهم منهم قبولا.
ليت شعري
لست أدري ما الصحيح.
أي ذنب للفتى...
أن يكن من ذنب فكلانا مذنبان
أنت مثلي هوان
هل ترى يغفر ربي ذنب عمري
وإذا ما تاب ربي
هل ترى يغفر ذنب عذري
.... فيداوي جرح صدري.
ليت شعري
لست أدري
وإذا ما مت يومًا
هل ترى يذكر قبري
فيا بئس الضريح[1]

إنها الدنيا حين تلهو بالفتيان والفتيان، وتفرش لهم أحلاما وزهرات، وهنا يدخل الشيطان، ويوسوس بالأمان فكلاكما متحبان، فسقطا في الحرام،ويأتي طفل الذنب وهو

[1]عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 42.

لا يعرف السبب ويلاقي الشتم والسب، يا لقيط في مجتمع السخط والغضب إنه طفل بلا أب، إنهم الأطفال البريئين الغير المذنبين يقال لهم الغير الشرعيين، وهذه الأخيرة أطلقها عليهم أفلاطون اليونانين[1] حيث قال: "الأطفال الذين لا يباركم القانون والذّين هم أطفال غير شرعيين".

2-)مأساوية الحراقة :

وها هي ظاهرة أخرى أكثر إيلاما و جورًا إنهم شباب في عمر الزهور، يقطعون البحور لتحقيق أحلام البهجة والسرور لكنهم وللأسف أغلبهم يعودون للقبور. إنها ظاهرة "الحراقة " إنها الهجرة السّرية،والهجرة ظاهرة اجتماعية وطبيعية، يعود تاريخها إلى زمن بعيد فقد ميّزت الشعوب والقبائل بحثا عن العيش والاستقرار وفي حال التطورات تحوّلت الهجرة إلى هجرة سرية وانتشرت كثيرا في دول العالم الثالث، وخاصة دول المغرب العربي الذين يطلقون عليها "الحراقة " والجزائر لم تسلم من هذه الظاهرة، «التي أصبحت هاجس طموحات الشباب، بل تداعي الأمر إلى أواسط الجامعيين والإداريين »[2] وازدادت تفاقما مع التحولات السياسية التي عرفتها الجزائر وتداعيها من مشاكل اجتماعية ولا أمن، لقد وجدت هذه الظاهرة رواجا كبيرا في في أوساط الشباب الذين يتغنون بها في الشوارع والملاعب، ويكتبونها على الجدران، بل إنهم يُقبلون عليها بدون تردّد ولا خوف بواسطة زورق صيد »[3] وما شابهه، وشاعت الحراقة، اوالحراق : وهو شخص قرر الانتقال إلى دولة أخرى بإرادته بطريقة غير قانونية بمغامرة يجتاز فيها البحر اتجاه أروبا والغالبية تمس فئة الشباب[4].

---

[1]محمد جمال الكيلاني، معجم المصطلحات الأفلاطونية (مفهومها ودلالتها)، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، 2010م، ص 71.

[2]سحنون أم الخير، الهجرة غيرا لشرعية لدى الشباب الجزائري، الأسباب والعوامل، جامهة بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، ص 03.

[3]حفصاوي اسماعيل، الحراقة، المعاش والتصورات ، ماجستير مخطومة، جامعة السانية، وهران، الجزائر، 2011م،ص04.

[4]سحنون أم الخير، مرجع السابق، ص 04.

الحراقة : مصطلح مصدره دول شمال افريقيا وتعني الأشخاص الذين يبادرون الهجرة من دولة إلى أخرى بحرا بواسطة القوارب والزوارق من دول العالم الثالث إلى أوروبا، بعيدا عن قوانين الهجرة، ويمكن أن تكون الهجرة برا وحتى جوا[1].

وقد استوحت كلمة حراقة كما يذهب أحد المحللين إلى أيام طارق بن زياد فاتح الأندلس، الذي أمر بحرق السفن ليمنع العودة ويقبلوا على الجهاد، فكذلك فإن الشباب يحرقون أوراق للهوية وجميع المستندات.[2] والشباب يقومون بالحرقة أملا في الحصول على هوية جديدة.

وشتّان في أوجه التشابه في عملية الحرق، فطارق بن زياد حين حرق السفن من أجل إعلاء كلمة الحق، وإضافة هوية، وبلد أما شبابنا فيحرقون الهوية والبلد والديار وحتى الأرواح كما تقول الشاعرة سعود سعيود في قصيدتها " جسر الكلمات" أشعارهاصبر بدون مراكب *** حرق البواخر طارق بن زياد[3].

فالحراقة: كلمة انتشرت واستفحلت على قلوب الشباب خاصة السنوات الأخيرة، فهم (الشباب) يحرقون أنفسهم (أرواحهم)، ويحرقون أكثر أهاليهم الذين يبقون يتكبدون عذابتهم، ويتحسرون عليهم، وهم يجهلون مصيرهم أحياء أم موتى، حتى وإن كانوا أحياء فأي مصير يجدونه ؟ إنهم كذلك موتى، فالأمر سيّان.

_ فالشباب يقطعون البحار و يلهثون وراء تلك الأحلام العيش الهنئ والنوم في سلام لأنهم سئموا الملل، وقلة العمل، فقرروا الرّحيل إلى بلاد المستحيل، قاطعين ألف ميل جيلًا بعد جيل، فيا ترى كم كان هناك فتيل لأن الرّحيل أخو المستحيل، فإن عشت بدون دليل، وإن مت، عبد ذليل، ويقول "حسان عبابسة "في قصيدة "مذكرات حراقة " :

[1] حفصاوي اسماعيل، مرجع سابق، ص 06.

[2] المرجع نفسه، ص 10.

[3] سعاد سعيود، غضب السنابل، دار الألمعية، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2015م، ص33.

سئمت الذي كان قبلًا

...وكم كان قبلا.

سئمت الذي قد يكون.

سئمت الفرح.

سئمت العيون.

سئمت التراب.

سئمت العتاب.

سئمت الظنون.

وهذي البلاد سجون.

سئمت الرحيل.

فهذي المرافئ حبلى...

فكم من قتيل.

وجيلًا على أثر جيل...

حكت جثت الراحلين المرافئ.

وتحكي المرافئ...

أن الرحيل... أخ المستحيل.

فمت حيث أنت...

... ولا تستقيل.[1]

أما قصيدة "قصة وائل "فهي قصة مأساوية، مؤلمة، ومؤثرة أشد الأثر، لذلك الطفل وائل الصغير، اليتيم الأم الذي قرر قطع، البحر ليلحق بأخيه الحرّاق، ولكن البحر قطّعه شر تقطيع، وألقاه جثة هامدة على الشاطئ. إن هذه القصة تؤثر في أي شخص كان، فما بال الشاعر ذو الإحساس المرهف الذي أرهقته الكلمات في تصوير المأساة،

[1] عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 152، 154.

بل إنها. أحرقته وأشعلت فؤاده همّا وكمدًا عندما وقف عند ما وقف عند آثار وائل، مثله في مثل وقوف الشعراء الجاهليين. عند الأطلال والآثار باكين ومتحسّرين خاصة الشاعر " امرؤ القيس ". في معلقته : والتي كان يبكي ويتحسّر في مطلعها (حال شاعرنا):

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ***بِسَقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلِ.[1]

فقد جائت قصيدة " عبابسة حسان "على نفس نسق بحر الطويل، ونفس الروي حرف اللّام، والبيت الأول فيه تصريع لكلا الشاعرين فهي ابنتها (ابنة المعلقة) أو حفيدتها لطول الزمن، لقد عارض معلقة امرؤ القيس ونجح إلى حد ما أن تكون مثلها فكلاهما وقف عند الآثار باكيا بحرقة وألم شديد، إلا أن الشاعر " عبابسة حسان "قد ألبس قصيدته لباسا معاصرا، يختلف الموضوع كثيرا عما سبق فقد حاول استدعاء تجربة شعرية قديمة وبلورها من أجل إخراج تجربة شعرية ناشئة لها رؤيتها الخاصة في عصرنا، فإذا كان امرؤ القيس قد استوقف صحبه للبكاء من ذكرى الحبيب، والمنزل فإن شاعرنا يستوقف احساسه الذي ذهل عند رؤيته آثار وائل ليسأل البحر وهو المكان، مثلما سأل امرؤ القيس سقط اللّوى بين الدّخول فحومل، لكن الفرق يكمن بين الشاعرين في أن شاعرنا ينتج دلالات جديدة تتلائم مع الوضع الرّاهن، ليواصل شاعرنا في قصيدته،وعلى نفس الإيقاع والروي، مسائلا هذه المرة الحوت، وكذلك الموج، وحتى الشمس، بل يعيد السؤال، للبحر سيد المدى، عن سر رحيل الطفل وائل، وتجيبه الأمواج، جارّة معها جثة وائل، وهنا تنتهي قصة الطفل البريئ وائل. يقول الشاعر " عبابسة حسان " في قصيدة "قصة وائل " :

هُنَا وَقَفَ الإِحْسَاسُ وَقْفَةَ ذَاهِلٍ *** يُسَائِلُ هَذَا الْبَحْرَ عَنْ سِرِّ رَاحِلٍ.

يُسَائِلُ الْحُوتَ هَلْ لَاكَ لَحْمَهُ *** وَيَجْمَعُ عِلْمَ الْمَوْجِ عَنْ كُلِّ سَاحِلٍ.

وَيَمْسَحُ دَمْعَ الْعَيْنِ عَنْ وَجْهِهِ الَّذِي *** تَشَقَّقَ مِنْ وَقْعِ الدُّمُوعِ الهَوَاطِلِ.

[1]رابح بن خوية، جماليات القصيدة الاسلامية المعاصرة –الصورة–الرمز–التناص، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2013م، ص244.

أَيَا بَحْرَ يَا ابْنَ الِمَاءِ سَيِّدَ الْمَدَى *** أَجِبْ يَا هَدَاكَ اللهَ لَهْفَةَ سَائِلِ.

يُسَائِلُ عَنِّي الشَّمْسِ هَلْ أبصرت فتة *** مشى فوق هذا الرمل مشية واحل

هُنَا أَلْقَتِ الَأَمْوَاجُ لِلشَّطِّ جُثَّةَ *** هُنَا أَنْهَتْ الَأَقْدَارُ قِصَّةَ وَائِلْ.[1]

3) مأساوية التكبر :

التكبر من الأمراض التي ابتلى بها الإنسان، وانتشرت كثيرا بين حنبات المجتمع منذ زمن طويل أصبح المتكبر مغرورا متفاخرا بنفسه، وهذا راجع إلى نقص الطاقة الإيمانية، وعدم الثقة بالنفس مما زاد في البغضاء والحسد، ونجد هذه الصفة الذّميمة ،في تاريخ الأنبياء عليهم السلام انطلاقا من سيدنا آدم عليه السلام حين أمر الله الملائكة بالسجود إلى سيدنا آدم، فعصى إبليس ربّ العالمين، وأخذه غروره بعدم السّجود إلى من خلقه المولى عزّ وجلّ من طين وهو المخلوق من نار، وكذلك فرعون الذي علا في الأرض، ومن تكبره وغروره جعل أهلها شعبا يستضعفهم، يقولّ عز وجل، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2] وكذلك قصة قارون الذي علا قومه من كثرة المال الذي يمكله يقول الحق تبارك وتعالى: ، ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾[3].

3-1) التكبر لغة:

التكبر: هو الكبر مأخوذ من المادة (ك ب ر)، والمتكبر هو اسم من أسماء الله عز وجل اي ذي الكبرياء المتعالي عن صفات الخلق ونقول تكبر تعظم وامتنع من قبول الحق معاندة[4] وقال ابن منظور بكسر الكبرياء، والكبر: العظمة[1] ويقول مولود بن زايد المتكبر والمتعجرف والمتغطرس[2]هذا في اللغة.

---

[1]عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 55، 56.

[2]سورة القصص، الآية04.

[3]سورة القصص، الآية 76.

[4] مصطفى ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، مادة (ك.ب.ر)، ص 373.

3-2)التكبر اصطلاحا: يقول الإمام الغزالي:هو استعظام النفس رؤية قدرها فوق قدرة الغير، ويقول الجاحظ: الكِبْر هو استعظام الإنسان نفسه، واستحسان ما فيه من فضائل، والاستهانة بالناس واستصغارهم، والترفع على من يجب التواضع لهم[3].

*التكبر رذيلة يتصف الناس الذين قل إيمانَهُمْ بالمولى: أصبحوا لا يرون أنفسهم، فهم السادة والباقي عبيد، يريد استحكام الأمور، والاستعلاء على الناس، ولم يبقى في قلبه سوى الكِبَر، وفي معنى الحديث إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول «لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة كبر»[4]، فالمتكبر هو الذي فقد الثقة والإرادة حيث تملئ الضغينة صدره، والحقد دربه، والغل قلبه، وأصبح لا يرى إلا نفسه، ليس كباقي البشر ليس من الطّين خلق بل من عسجد انبثق، كل الناس توعد بالأسى إلا هو توعد بالنور والبقاء، ومهما كبرت أماني المتكبر الجاحد فانه إلى القبر لاحِد، ومهما تعدت الأسباب، فان لكل اجل كتاب، و سينهال عنك التراب، وتأكلك الديدان وحتى الغربان ويقول "عبابسة حسان":

يقتات من صحن الضغينة والحقد

ويروّي من كؤوس الكراهية والحسد

ويحلّى...

حينما يطعن... من يلقاه

عند القرب البعد.

غفلة المارد فيه تدعى...

انه السيد الواحد في الخلف

وجميع الخلف...

... بين الوعد والعبد

---

[1] نعيم الله شاه سيد، التكبر، والبغي في ضوء سورة القصص، ماجستير مخطومة، جامعة المدينة العالمية، ص10.

[2]مولود بن زايدي، معجم الزاد، (المرادفات، المتجانسات العربية)، دار الألمعية،قسنطينة، الجزائر، ص473.

[3] نعيم الله شاه سيد، التكبر والبغي في ضوء سورة القصص، ص 10.

[4] رواه مسلم

خلق الناس من الطين جميعا

خلق السيد من نور وورد

وُعِد الخلق بالأسى

وعد السيد بالإنعام والسعد

أيها الغافل مهلا

هل ترى نفسك فوق القبر و للحد.

تأكل الديدان من عينك شهدا

وتحلى منك بالأجفان والخدّ [1]

4) مأساوية أم الخبائث (الخمر):

–يقول تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين امنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة و البغاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن لصلاة فهل انتم منتهون﴾[2].

الخمر آفة اجتماعية، لها أضرارها الوخيمة على الفرد والمتجمع –فهي تخرب العقل، وتنهب الجيب، وتقتل الجسد، إنها الموت البطيء، الذي يهلك صاحبه ويؤدي به إلى الممات.

فشارب الخمر يستهواه في أول الأمر، وما يلبث حتى يصبح عبدا لها، وعربيدا، لذلك، لذلك حرمها المولى عز وجل وقد كان تحريمها على مراحل. وليس مباشرة، لأن هذا يضُر ولا ينفع، وحتى في الشفاء لا يكون الانقطاع مباشرة بل يبقى يشرب بالشيء الميسر حتى يشفى، أي هي كذلك في الشفاء على مراحل

فالخمر هي رجس من عمل الشيطان الذي يثير البغضاء و العداوة بين الناس، حتى يصدوا، ويتلهوا عن الصلاة وذِكْر المولى عز وجل.

[1] عباسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 48، 49.

[2] سورة المائدة، الآية :90، 91.

الخمر لغة : خمرا أو خمور أو ما سكر من عصير العنب و غيره، لأنها تعطل العقل جمعها الخمور و الخمارة: موضع الخمر[1].

الخمر اصطلاحا: هي كل ما يخامر العقل ويُسْتُره و يحُجُبه أو يخالفه و اجمع الفقهاء رحمهم الله تعالى على تحريم المسكر من أي شيء كان.[2]

يقول عز من قائل فقد حرمها المولى عز و جل إلا أنها ما زالت تستشري بين أفراد المجتمع، يقول عز وجل﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[3]. الخمر تسلب الإرادة و الثقة و يصبح إنسان ميت القلب،بل انه في طريق الموت البطئ،ولا يتناهى عن شرب الخمر منذ الكأس الأولى حتى يتمنى الثانية، و هكذا دائما الزيادة لأنه الدواء رغم أنه يعلم أن هذا حرام، و يصبح السَّكير عربيد الخمر و سمة عار على أهله و أبنائه، و مجتمعه، و الكلّ يمقته، و يبتعد عنه لأنه النّار، و الدمّار و العار، فان شارب الخمر هو عبد النفس العاصية إلى ربّها، و المؤدية إلى حالها، انه الخمر الذي يخمر العقول، و يذهب بها يقول "عبابسة حسان" قصيدة " قصة أم الخبائث":

احتسي إن شئت خمرا...

.... احتسي إن شئت خمرا...

.... و تمرّع في الضلال.

أنت عبد...لست حرّا

فرباط الخمر...

...قيد كالجبال.

كيف يغدوا...حرّ نفيس

...من خبت فيه الإرادة

[1]مصطفى إبراهيم وآخرون المعجم الوسيط، ج1، مادة (خمر)، ص285.

[2]على بن راشد الدبيان، الخمر عقوبتها و آثارها، مجلة العدل، العدد، 37، 1429هـ، ص 229.

[3]سورة الأعراف، الاية:157.

يحتسي الخمرة....

...كأسا إثر كأس

وتداويه الزّيادة

أحرام ذاك ربّي

....أم حلال.

كيف تحيا...حين نغدو

...أتعس الأقوال دارا

يتقي ابنك ذكرك...

...إن يرى ذكرك عارا

ويرحبّى منك قربك...

ويرى قربك نارا...

...ومحالا في محال.[1]

مأساوية العمى:

يقال إنا فلان عمى إلا انه ذهب بصره كله من عينيه، فهو إذن اعمي، فكذلك القلب أو الرجل الذي ذهب بصيرته ولم يهتدي إلي خير، ويقول تبارك وتعالى ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ﴾[2]

الأعمى هو مرض يصيب العينين يفقدهما الإنسان،أو يكون اعمي البصيرة وهذا ادهي وأمر لان كل شي لا يهتدي إليه، رغم إنّ بياضه ناصع، لكن لا فائدة من ذلك،والشاعر محمد عبابسة يقصد الفئة الثانية للإنسان الأعمى الحقيقي الذي غشى عنه الحق، وتبدد في الظلام، وأصبح يرى كل شي قبح،يريد أن يتخلص منه، فالشخص الذي يرى ببصيرته يعمه الصفاء والأمل لان النور موجود في أعماقه حتى وان كان فاقد

[1]–عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت،ص 43.44.

[2]سورة فاطر، الاية:19

البصر لكلتا عينيه لأن قلبه حي لازال ينبض بالإيمان، وقانعا بنور هذا الأخير ودائما إذا كان هناك الظلمة والنور يكون كذلك الحق والديجور.

فالأعمى الحقيقي هو الذي يسكت عن الحقيقة ولا يجهر بها لأنه خائف، من قول الصواب لأنه شخص مرتاب يركن إلى عتبات الخوف والظلم، وهناك فرقٌ كبير في الماسّة ذات البياض الناصع والفحمة، ذات السواد القائم ويقول الشاعر.

لنْ أحيا أبدا في العتمة

مادام النور بأعماقي

لن تحجب أنواري غيمة....

والشمس تنام بأحداقي.

أعمى.....؟!!!

من منا يا هذا الأعمى.....

ما جدوى عينيك....صديقي

إذا كانت لا تصبر حسنا.....

أو كانت لا تنكر ظلما[1]

6-مأساوية البؤس:

البائس:مأخوذ من مادة بئس بأسا، وبؤسا وبئيسا وهو الافتراق وشدة الحاجة البؤس هو المشقة والفقر ويقال: ابتئس أي اكتأب وحزن، وابتأس:حزن وسجن واكتئاب[2] لقوله عن من قائل ﴿فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾[3].

إنهم البؤساء، الفقراء، المعدمون، المساكين في هذا الفضاء هم الذين يفترسون الأرض ويلتحفون السماء عرضة للريح للبرد، والحر والشمس والأنواء.

---

[1]-عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص45.

[2]ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، كادة (ب ز س)، ص 36.

[3]سورة هود، 3الاية6. ن، المعجم الوسيط، ج1، كادة (ب ز س)، ص 36.

[3]سورة هود،الاية:36.

انه البائس وحده يعيش وجيدا، لا يملك سندا إلا الله الأحد، لا يملك شيئا في الدنيا سوى حياته، لكنه مل منها، وبقي ينتظر مماته.

ولم يبقى للبائس شي، فالأمنيات في شتات واحتباس، ولا يتمي إلا أكلٍ أو لباس، ودائما وحيدا فريدا، شريدا في ساحة التعساء ساحة البؤساء هؤلاء الذين أنكَرَهم الجهلاء، فعُينوهم عَمْياء وقلوبهم جوفاء، لا تعرف معنى للحياة البؤساء الذين بقوا وحدهم الكل ضدّهم، فبكاهم الطيور والسماء ويقول الشاعر :

كان وحده.....

جالسا.....

في عتمة الظلماء وحده.

حصب الأرض فراش

والسماوات لحاف.[1]

فهنا الأمطار والشمس

كان وحده...

لم يملك من ثروته إلى الحياء

وعيون ترقب الأموات الهوينى

للصلاة كان وحده

مات وحده

بكت الأرض لفقده

والسموات...

وبكاه الطير عرفانا لودّه.[2]

[1]–عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت،ص 46.

[2]–المرجع نفسه، ص 46–47.

إنّ هذه العلل المأساوية في مجتمعنا أساءت إليه وإلى أفراده كثيرا، ومن الآثار الناجمة عنها؛ إنّها عين الشاعر "حسان عبابسة" الذي كان حريصا في انتقاء بعض منها والتي كانت أشّد الأثر؛ حيث أنّه كان بالنسبة للمجتمع في رؤيته مثل رؤية الأب لأبنائه (فعاطفة الأب تدفع عنّا رمضاء الحياة، وريحها السموم وتظلّلنا بظّل القلب الراجف، وجفن العين الدّامعة).[1]

هذه نظرة الأب لأبنائه، ونظره الشاعر لأفراد مجتمعه، الذي فاضت حناياه شعرا، يتأس ألما وحرقة على تلك الأمراض والعلل التي تنخر فيه من أعلى الرأس إلى أخمص الرجلين

فكان شاعرنا مثل الأب على أولاده حبّا وحنانا، يتدفق إلى أفراد مجتمعه الذين غمرتهم المآسي والآخرين، والآهات فجعل من قلعة الشّعر حصنا لهم من الزفرات، وجعل من قلبه واحة يستظلون بها من تلك الآهات، وجعل من كلماته بلسما يداوي جراح تلك الآفات.

[1]–فاطمة تجور، المرأة في الشعر الأموي، إتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، ط.1، 2000م، ص60.

ثالثا: الاتجاه الديني:

"التضرع للمولى سبحانه وتعالى (عز وجل) والاستشفاع بالرسول صلى الله عليه وسلم"

التضرع: هو الدعاء إلي المولى عز وجل للخلاص من ورطة أوليدفع مكروه[1] وهو أسلوب من أساليب الاستغاثة للمولى عزَّ وجل إذ ينجم عن الحزن والفزع في ورطة أو المشكلة بقصد التخلص منها فالتضرع وسيلة يلجأ بها العبد المفجوع إلي ربه بغية التخفيف من الام المصائب التي حلت به، فيتضرع ويبتهل إلي الله تعالى من اجل الخلاص.وان المؤمن لا يجد ملاذ أفضل من الدّعاء للتقرب من الله تعالى، وإزالة قلق المعصية عن نفسه بواحة التوبة والغفران[2] ويكون ذلك في تذَّلل وانكسار وخشوع إلى الله سبحانه، وقد تضرع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المولى عز وجل وأكثر من الدعاء خاصة في معركة بدر وكذلك الصّحابة تضرعوا.

يقول عزّ من قال ﴿إن تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾[3].

إن كان الندم علي المعصية يولد حسرة، وأسفا على فعلها فان الحب يخلف سقما للمحبين؛ لأَن المحب مضطر غير مختار وسطوة الحب شديدة خاصة عند العذريين، فيتضرع المحب منهم إلى المولى تبارك وتعالى بذكرى دائمة إلى من يحب فلم يبق له ملاذ سوى الدعاء هكذا تضرع "قيس ليلى" إلى الله سبحانه وتعالى بعد زواجها قائلا:

يا رب انك ذو منّ ومغفرة *** بيّت بعافية ليل المحبين.

يا رب لا تسلبني حبها أبدا***ويرحم الله عبدا قال أمين.[4]

[1]جليل حسن، الشعر العربي، قبل الإسلام، دارة الدجلة، عمان، الأردن، ط2، 2009، ص271.
[2]أحمد عبد الرحمان عقراوي، الحزن في الشعر الأموي، ص 189.
[3]سورة الأنفال ،الاية:09..
[4]محمد عبد الرحيم، ديوان الفرزدق، في الشعر الأموي، ص189.

لم يبق مجنون ليلى بعد زواجها سوى التضرع و الدعاء بالمولى عز وجل حتى تبقى ذكراها في قلبه إلى الأبد، و بهذا يبقى متأسيا و حزينا، طول حياته، كذلك فقد تضرع "الفرزدق" إلى الله قائلا :

و الناس في فتنة عمياء قد تركت*** أشرافهم بين مقتول و محروب

دعوا ليستخلف الرحمان خيرهم *** و الله يسمع دعوى كل مكروب[1]

يتضرع الفرزدع إلى الله تعالى أَن يستخلف في الناس خيرهم فإن الله سبحانه سمع دعاء المكروب و هذه الكلمة لعل لها وقع من شدة ما يعانون به من الولاة واستبدادهم و ظلمهم فيزيدونّهم مأساة إلى مآسيهم.

و التضرع إلى الله سبحانه هو السلاح الوحيد الذي بقي للعبد المؤمن في هذا العصر الذي ازداد فيه جور وظلم الحكام، للبلاد و العباد، الذين لا يهم أمرهم، بل ما يهم هو التكالب على كرسي الرئاسة في بحر من الدم و الدموع، و تقدم ولاء الطاعة إلى من ليس لهم الحق فيها، إنهم أعداء الله الذين عاثوا في الأرض فسادا، يمدونهم أحكام بالولاء و الطاعة حتى يزداد الظلم و الفساد أكثر، فهذه الحالة المأساوية لعالمنا المعاصر. و التي تزداد سواء لم تترك لنا شيئا سوى الالتجاء إلى رب العزة و المنة أن يرفع هذه المحنة هكذا التجأ شاعرنا محمد عبابسة حسان إلى المولى عز وجل، كما أنه تضرع إلى المولى عز وجل أن يحميه من نار جهنم و العياذ بالله منها – و هذه أمنية كل عبد تعلق قلبه بربه و يقول الشاعر "عبابسة حسان " قصيدة "ادعوك يا ربي".

يا رب حمدك إن حسِّنت تكويني***لا تجعل النار يوم الحشر تكوني[2]

إن الشاعر يبدأ بحمد الله سبحانه على تلك النعم التي رزقنا بها خاصة نعمة الخلق التي أحسن بل ابعد المولى عز وجل في تكويننا و يتمنى في نفس الوقت أن لا تكوي

[1]محمد عبد الرحيم، ديوان الفرزدق (مع السيرة و الاقوال و النوادر)، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 83.

[2]عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 14.

النار هذا الجسم الذي كونه الله عز وجل، إن هذا البيت الذي يحتوي على التضرع، و أي تضرع؟ فالكلمة نفسها في الحروف و حتى عملية الشكل، لكنها اختلفت في المعنى بعد أن اختلفت الصّياغة، فقد اتفقت في الأصوات اللغوية و اختلفت في الدلالة، و هذه التفاتة ذكية من الشاعر دلالة على حسن اختياره للألفاظ، وسعة، ثقافية الشعرية و الدينية، حيث أننا نلمس ثقافته الإسلامية جليا في ثنايا قصائده، خاصة البيت السابق، و الأبيات التي تلي، تدل على مدى تعلّقه الشديد بدينه و ربّه، و في قصيدة "أدعوك ربي" و هي قصيدة كلها دعاء، بالمغفرة من تلك المعاصي و الذنوب التي يُقر بها، و هي تضرع و بكاء يرجو الرّحمة و المغفرة، فاتحا القصيدة، بالدعاء (ادعوك يا ربي)، فالشاعر يدعوا المولى عز وجل بدعاء عريض، حتى تزيل المصيبة، و لكن إذا فُرجت على الإنسان فإنَّه، ينسى الدعاء تماما، و ينسى ربّه، و لا تراه سوى فرحا مختالا بذلك الأمان الذي عمَّه، و لكن في حقيقة الأمر الإنسان يدعوا ربه في السراء و الضراء، لكن المولى عز وجل يتجاوز عن خطاياه. يتجاوز السهوة و النسيان، و نعود إلى الدّعاء فقط عند الحاجة، بل إننا نعيد ذلك الذنب، و نعيد الدّعاء ، فلو كان أحدا من البشر لسئم و ملّ من أفعالنا المتكررة التي نستحي منها، والخلق يستحون من الإنسان أكثر، من رب الإنسان، و يواصل الشاعر في قصيدته، راجيا من المولى عز وجل طاعته فلا ملجأ، و لا منجا منه إلا إليه سبحانه، ليقر الشاعر بذنوبه التي بكي لأجلها حتى جفت دموعه لكن الأسى و الحسرة لا يزالان، ينهشان القلب في ما فرط في جنب الرّب تبارك و تعالى و ليس له شيء حسن يقدّمه أمام تلك الذّنوب إلا محاسن غفوه سبحانه التي يأملها الشاعر.

كما نأملها معه، فهو العليم بالحال، و بالنفس، و ما أصابها من شجن و تفّجّع. و مآسي فالملجأ الوحيد و ليس له بديل هو الله سبحانه الذي يعفو و يغفرو يرحم، و يهدي القلوب من الظلام إلى النور يقول الشاعر قصيدة : "أدعوك ربي"

أدعوك ربي إن أصابتني مصيبة *** و إذا أمنت رأيتني مختالا

لو كنت أدعوا عاجزا لأمله ***مِنّي الدعاء وما بدأت فعالا

لكنمَّا ادعوا إلها قادرا *** يعفوا و يغفر زلة و خبالا[1]

أما قصيدة "السيرة الخالدة" يقول الشاعر "عبابسة حسان"

يا رب صلّي على المختار أحمدنا *** من حار عقلي في وصف يوافيه[2]

هو تضرع و دعاء فيه امتثال لما أمرنا المولى عز ول بالصلاة على رسولنا محمد صلى الله عليه و سلم في قوله عز من قائل في كتابه ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما﴾.[3]

عليك الصلاة و السلام بخير الأنام، يا من أتى بالإسلام و حطم الأصنام، و جمع الأرحام، و بدّد الظلام و أحيا النفوس من السقام. يا ناصر كل مغلوب، و كاشف كل مكروب، شفعنا في يوم شديد الهول مرهوب، و الله يعجز لساننا في وصفك يا محبوب.

2/الشكوى:

يجد الإنسان نفسه تحت وطأة الاستسلام الهادئ لانفعالاته و إحساسه المر بواقعة المعيش، و ما أفضى إليه من عذابات الأسى. فيلتجأ إلى الشكوى للتخفيف من الآلام، و المقصود منها: «إظهار المرء ما به من مكروه أو مرض، و أجمع علماء اللغة على أن دلالة لفظة الشكوى تنصرف إلى المكابدة و التوجع و الألم و الحزن»[4]، و كلهم مبحث للشكاية، فالشكوى هي التوجع من شيء تنوء به النفس كالمرض و الفقر، و الموت... الخ و تتجلى من خلال بث ما يعانيه، و غالبا ما يلجأ الإنسان لها نظرًا لعظم ما حلّ به من مآسي، «و غرض الشكوى وجد هوى في نفوس الشعراء حتى لا يكاد ديوان شاعر يخلو من مقاطع في وصف معاناته»[5] و الشكوى متعددة، شكوى من هجر حبيب

[1] عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 14.
[2] المرجع نفسه، ص 28.
[3] سورة الأحزاب، الآية:56.
[4] أحمد عبد الرحمان عقراوي، الحزن في الشعر الأموي، ص 175.
[5] أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي، ص 110.

الحرمان، الظلم الاجتماعي و السياسي، الحيف،...الخ و هذا لأنها «عاطفة أساسها الشعور بالظلم و الألم و الحرمان»[1].

و الإنسان يلجأ إلى الشكوى لعظم ما حل به من جور فظلم في حياته، و هذا ما عبرّ عنه ابن دانيال الموصلي حين شكا إلى الله و ليس بيده حيلة:

إلى الله أشكو قلب من لا يريدني***على مقتضى حظي و قلبي يريدها

و لا ذنب لي إلا تلثم لوعة *** أبي الصبر أن تبدوا و دمعي يعيدها[2]

و هنا الشاعر يشكو من هجران الحبيبة التي أبت عنه، لذلك لم يجد يدا و لا حيلة من قلة ضعف أن يشتكي إلى الله عز وجل ما آل إليه يخبره عن عفوه، و صبره عن تلك اللوعة التي تزيد من لوعة المأساة. كذلك فإن "أبي فراس الحمداني" قد شكا من البعد و البين و هو في القسطنطينية بينه و بين أخيه قائلا:

لقد كنت أشكو البعد منك و بيننا***بلاد إذ ما شئت قرّبها الوخد **

فكيف و فيما بيننا ملك قيصرا *** و لا أمل يحي النفوس و لا وعد[3]

أن الشاعر يشكوا البعد و طول المسافة بينه و بين أخيه عندما كانوا في نفس البلد، فما باله، و الشاعر خارج البلد (بينهما ملك قيصر) أي طال البعد وازدادت المسافة، و في عصرنا الحالي نجد الشاعر الفلسطيني: "عز الدين المناصرة" يشكوا من المنفى، و يشكو من الابتعاد عن جذوره عن بلده الخليل الذي لا يرى له بديل في المنفى، لذلك فهو يبث شكواه إلى بلده قائلا:

أنا عز الدين المناصرة

سليل شجرة كنعان، وحفيد البحر الميت

و لا اشكوا

---

[1] احمد عبد الرحمان عقراوي، الحزن في الشعر الاموي، ص 175.

[2] أحمد إبراهيم الصلاحي، الاغتراب في الشعر العربي، ص 113.

** الوخد: السير السريع.

[3] يوسف شكري فرحات، ديوان ابي فراس الحمداني، دال الجيل، بيروت، لبنان، (د ط) (د، س)، ص 90.

فالشكوى لغير الخليل مذله[1].

و في موقع آخر يشكو، الوحدة و العزلة لفلسطين رغم كثرة إخوانها العرب كما يشكو من البقاء فلسطين و حدها في ساحة المقاومة قائلا:

تدمع عيني وحدي

أشكو وحدي [2]

كذلك شكا، شاعر فلسطيني آخر " عبد العزيز أحمد روان" إلى صديقه آلام أمته من ضعف و استسلام فلا عروبة ولا إسلام ، مما أدى إلى ضياع القدس المسلوبة، و ناموا في ظلام عزتهم المغلوبة

لا العرب عرب، و لا الإسلام جمعهم *** و لا المصائب يجمعن المصابين

و اليوم أمس مصير القدس مضيعة ***يلهو به و بنا أبناء صهيون

و المسلمون استناموا خائرين لهم *** خلفوا الحق في الساحات محْزونا[3]

يبدوا أن الشكوى تتعدد حسب المواقف و الظروف و لكن أجل أنواع الشكوى هي تلك التي تكون إلى الله سبحانه و تعالى حيث يقول عز وجل على لسان سيدنا أيوب عليه السلام.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾[4]

و كذلك ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَولَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ واللهُ يَسمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾[1] كما شكا إلى الله عن ضياع الحقوق الشاعر"الفرزدق" قائلا:

---

[1]محمد عبيد الله، شعرية الجذور (قراء في شعر عز الدين المناصرة)، دار مجد لاولي، عمان الأردن، ط1، 2006، ص 128.

[2]محمد عبيد الله، شعرية الجذور، ص 42.

[3]احمد إسماعيل عبد لكريم، القضية الفلسطينية (في الشعر العربي المعاصر)دار الوراق، الأردن، عمان، ط1، 2015، ص 186.

[4]سورة يوسف، 86.

إلى الله تشكو عزّنا الأرض فوقها*** و تعلم أن أثقالها و غرامها

شكتنا إلى الله العزيز فأسمعت*** قريبا، و أعيا من سواه كلامها[2]

يصور الفرزدق عظيم محنته و على ما يبدو أنه ليس الوحيد الشاكي بل الأرض كذلك تشكو هموم الناس و متاعبهم إلى الله فهي تنوء بما ثقلت. فالله عز و جل من يمنحنا الصبر و الإيمان.

هي الشكوى إلى الله عز و جل التي تعطينا الصّبر و تقوى عزيمتنا و إرادتنا و كذلك الإيمان و الثقة بالمولى عز وجل.

وقد شكا شاعرنا إلى المولى عز وجل كثرة الذنوب التي أصبحت تقيده و تحاصره، و تؤرق مضجعه، و في نفس الوقت فهو لا يشكو من ضنك العيش لأن الله سبحانه هو الرزاق المتين، و في الحقيقة فإن الشاعر ،قد أبدع في توظيف تلك الكلمات التي تشترك في الوحدات الصوتية و تختلف في المعنى في كل بيت ففي اخر الصدر تكون الكلمة نفسها في آخر العجز لكن اختلاف المعنى تماما، مثل كلمة "تكفيني" في العجز و ردت بمعنى الكفاية و القناعة بما أمده الله من الرزق أما في العجز نفس الكلمة (تكفيني) لكنها تأخذ معنى و آخر و هو الكفن أي إلى يوم تكفينه فإن الله هو الذي يرزقه و هذا ما يسمى في اللغة العربية رد الإعجاز على الصدور. (التصغير) و هذا احد أنواعها هو "توافق أخر كلمة في التتبع آخر كلمة في النصف الأول " [3]

حيث يقول الشاعر "عبابسة حسان" قصيدة "يا رب حمدك"

لا الرزق أشكو فذو الأرزاق تكفيني *** من يوم خلقي حتى يوم تكفيني

أشكو ذنوبي و قد صارت سلاطيني *** الروح تسلو وقبلا كم سلاطيني[4]

أما في قصيد ة" السيرة الخالدة" فيقول الشاعر "حسان عبابسة":

---

[1]سورة المجادلة،الاية:01.

[2]محمد عبد الرحيم، ديوان الفرزدق، ص 378.

[3]فيصل حسان الحولي، التكرار في الدراسات النقدية (بين الأصالة و المعاصرة)، دار اليازورلي، عمان، الأردن، الطبعة العربية، 2015، ص 220.

[4]عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 13.

صاحت اله العرش يا سندي ***أشكو الزمان و اخشى من خوافيه[1]

إنها شكوى السيدة آمنة بنت وهب بأمر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم حينما جاءتها بشرى نور قد يخرج من أحشائها، فقد فزعت و خافت على ما في بطنها من الأهوال و ما يخفيه الزمان لذلك شكته.

الاستشفاع (الشفاعة):

التشفع: هو شفاعة الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم، و هي واحد مما يوصل إلى الله سبحانه و غفرانه، و قد يستشفع به المسلمون و هم في بُعد عن زيارته، بل إن الكثير يعدُّون العدة للحج، و زيارة قبره صلى الله عليه و سلم طلبا لشفاعته [2] فهذا" حجاج الغافقي" الذي فاز بزيارة قبره المبارك وهذا كل مبتغاة، فإنه صار يستعذب الموت بعد وصوله:

لم يبق لي سُؤْل و لا مطلب ***منذ صرت جارا لحبيب الحبيب

لم يبقى شيئا سوى قربه *** وها أنا منه قريب قريب

العيش هنا و الموت طيب ***بطيبة كل شيء يطيب [3]

و يطلب "ابن فركون" الشفاعة بين يدي قبر الرسول صلى الله عليه وسلم

ألا يا رسول الله دعوة نازح ***فله في النوى و القرب فكر مقسم

أنا المذنب الجاني و أنت شفعيه *** و مثلك من يرجى و مثلى من يرحم[4]

فما لي إذ لقيت وسيلة***سوى أني أرجو أني مسلم

كما أن احمد شوقي من شعراء العصر الحديث الذين و قفوا عند قبر الرسول صلى الله علية و سلم في قصيدة "إلى عرفاة الله" قائلا:

فقل لرسول الله يا خير مرسل ***أبثك ما تدري من الحسرات

---

[1] عبابسة حسان،صرخة فيوجه الموت، ص 20.

[2]مقدار رحيم، رثاء النفس في الشعر الأندلسي، دار جهينة، عمان الأردن، ط1، 2007، ص 134.

[3] المرجع نفسه، ص 154.

[4]مقداد رحيم، رثاء النفس، ص 134.

شعوبك في شرق البلاد و عربها***كأصحاب كهف في عميق سبات

بأيديهم ثوران ذكر سنة *** فما بالهم في حالك الظلمات[1]

لم يجد الشاعر بُدُّ لتلك الأوضاع المزرية من قهر و استبداد، و ظلم و احتلال و انتداب، التي آلت إليها الديار العربية سوى التشفع بالنبي صلى الله عليه و سلم لأمته النائمة في عمق بل سبات و لا تزال إلى حد اليوم للأسف الشديد لأنهم ما زلوا في غييّهم و في ظلمات الأحقاب و بين أيديهم السنة و الكتاب، و في نفس المعنى يقف الشاعر الجزائري" محمد الأخضر" "عبد القادر السائحي" متوسّلا برسولنا الكريم إلى ما آلت إليه بلادنا و الجزائر من خلال العشرية السوداء التي حصدت آلاف الأبرياء في بحر الفتنة العمياء بين الإخوة الأعداء فسالت أودية الدماء في تلك الأجواء سياسة عرجاء و أنظمة خرساء تعزف لحن الدماء في الشوارع و الأحياء، ليس هناك ماء لا خبر ولا دواء، و حتى لا هواء ،إنها فتنة العشر السنون، فيها بقرت البطون و تخرج أجنَّةٌ تُقتل تُذبح أمام العيون، حيث ذُهلت وصُعقت الأرواح إلى حد الجُنون، من هول ما فعلته يد المنون.

يقول الشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي قصيدة"دعاء الجزائر" ديوان: "مدن غازلتي":

يا حبيبي يا رسول الله *** إن بلادي قد دها ما تعاني

قل لرب العرش: ما نحن سوى *** بشر ضل فتب على كل جاني

ليس في شعبي طغاة مجرمون *** فكن ربي رحيما بالعاني

لطفك اللّهم لطفا يدفع *** الفتنة الذكراة عن هذه المغاني

إنّني شاعر قوم آمنوا ***يطلب النصر....و يدعوا للامان[2]

[1]أحمد شوقي، الديوان ج1، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص 116، 115.

[2]محمد الأخضر عبد القادر السائحي، مدن غازيتي، منشورات السائحي، الجزائر، ط1، 2015، ص 251، 252.و

و شاعرنا عبابسة حسان هو حال هؤلاء الشعراء يتوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم، و يرجو و يتمنَّى شفاعته يوم الحشر في يوم اللّهيب، فهذا المُبتغى و المنتظر يا خير حبيب، يقول في قصيدته " رجل لا يموت"

اجعل شفيعي يوم الحشر احمدنا ***شفّعه فيّ فمنه الخير منتظر

و اجعل مقامي بالفردوس مكرمة ***و ارزق جواري من بالحفل قد حضروا[1]

و إذا أوضاع (أوطاننا العربية) (بالأمس أو اليوم) هي أوضاع مخزية يندى لها الجبين و تبكي لها العين، و ينفطر القلب الحزين.

لتشتعل الدواوين، بالآهات و الأنين، بحبر الدماء، و دموع و حرقة قرائح الشعراء على زمن غاب فيه الأوفياء و لم يبقى سوى الخونة الأعداء، و لم يبقى لنا نحن الأمة العمياء في هذه الأجواء إلا التوّسل بربّ الأرض و السّماء و التوّسل بخاتم الأنبياء متضرعين بالدّعاء أن يكشف عنا البلاء و يرزقنا شفاعة رسولنا فهي الترياق و الدواء، وشاعرنا عبابسة حسان الذي صال و جال بحس ماساوى، متأثر و مؤثرا في محارب التوسل و التضرع و الشكوى إلى المولى عز وجل إلى الرسول، و شفاعته حتى تكشف الغمة، و تستفيق الأمة.

3)الحنين:

الحنين باب قديم في الشعر العربي و قد ضرب فيه الشعراء بسهم وافر لأنه يعبر عن عاطفة إنسانية صادقة.

3-أ الحنين في اللغة: الشوق، العطف، الرحمة، ويحمل معاني مثل: شدة الشوق، الهيبة و الحزن و الوقار[1] يقول عز من قائل : ﴿وحنانا من لدنا﴾[2] فهو نعمة الشوق و حالة حزن عند الابتعاد عن الوطن [3].

---

[1]عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 17.

[1] محمد أحمد دقالي، الحنين في الشعر الأندلسي، دار الفاء، إسكندرية، مصر، ط1، 2008، ص 25 .

[2] سورة مريم ،الاية:13.

[3] محمد بوزواوي، قاموس مصطلحات الآدب، دار مرئي، الجزائر، الجزائر، د.ط، 2003، ص 110

3- ب الحنين في الإصطلاح : حزن و ذبول يغشيان عدد من الناس، وهو رحلة في الزمان، و عودة إلى الوراء لمعايشة الماضي شعرا، و استرجاعه و استحضاره على مستوى المكان و الأهل و الوقائع [4] و أول من حنّى هو ابن حذام كما أورد امرئ القيس في بيته عندما حلى إلى الديار :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا ***نبكي الديار كما بكى ابن حذام.

-انه البكاء و الرّقة على الديار من شدة الشوق و الحنين لتلك الذكريات الماضية فهي عادة شعراء الجاهلية (المعلقات) حيث يستهلون قصائدهم بمقدمات الحنين إلى الديار و الأحبة، بل إن حازم القرطاجي اعتبره من الأسباب الدّاعية إلى قول الشعر :" السبب الأول لقول الشعر هو الوجد و الاشتياق و الحنين "[5]، ومن لوعة الحنين نجد تلك القصائد التي حنَّ بها الأندلسيون إلى فردوسهم الضائع من هؤلاء نجد **ابن شهيد** الذي حن إلى قرطبة التي عصفت بها رياح الدمار بعد سقوطها:

عهدي بها والشمل فيها جامع *** من أهلها والعيش فيها أخضر

يا جنة عصفت بها وبأهلها *** ريح النوى فتدّمرت وتدمروا

يا منزلا نزلت به و بأهله *** طير النوى فتغيروا و تنكروا[1]

لقد حن ابن شهيد إلى قرطبة التي جمعت الشمل و الأهل و رغد العيش و أصبحت خرابا بعد أن عصفت بها رياح الدمار و بأهلها، إذن هو الحنين الذي يهيج تلك الأشواق لكل الذكريات، و الديار، و الأهل.

و هنالك الحنين إلى الأهل، وخاصة الأبناء فلذات الأكباد و تنطق الأبوة الغارقة في الشوق بتلك الأحاسيس و المشاعر التي تبقى كالجرح الغائر الذي يظل ألما و شوقا،

---

[4] فاطمة طحطح، الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993، ص 26.

[5]محمد، احمد دقالي، الحنين في الشعر الأندلسي، ص 26.

[1]- فاطمة طحطح، الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي، ص 71، 72

إنها العاطفة الجياشة للأب، خاصة إذا كان شاعرا تتفجر منه أبوة قاتلة و صارخة أمام أهات الشوق و الحنين هكذا عبّر عنها الشاعر " بلقاسم خمار قائلا "

رباه خلف الحدود قلب بلا أمل شرود *** أتراك ترحم شيبتي و أراه يوما إذ يعود[1]

موقف مؤثر لعاطفة الأبوة المحترقة شوقا و حنينا،تنتحب بكاء لفراق الأكباد، ويبقون يتجرعونه مثل بلقاسم خمار الذي بقي يشرب كؤوس، الحرقة و الفرقة إلى أخر رمق من حياته فقد قضي نحبه دون أن يطفئ لهيب الشوق إلى ابنه.

الحنين الديني: يقصد به كل نتاج شعري عبّر فيه الشاعر عن حبه، و أشواقه للرسول صلى الله عليه و سلم، والى كل ما يتعلق بشخصه الكريم أو إلى الديار المقدسة و غيرها من الديار التي تعبر عن النزعة الدينية لكل شاعر سواء أكانت النزعة صوفية أو زهدية[2]، و تركز أشعار الحنين الديني خاصة على المدائح الدينية النبوية، و قصائد الزهد، و الأحداث السياسية التي فتكت بأطراف البلاد العربية، و لم يجد الشاعر غير الشعر (اضعف الإيمان) و زيارة قبره الشريف، ومن هؤلاء الشعراء نجد "أبي زيد الفزّازي الذي أسهم كثيرا في الحنين الديني من خلال الحنين إلى الرسول صلى الله عليه و سلم قائلا :

يا سيد الرسل الملكين مكانه *** مقدم و هو الأخير زمانه

ناداك عبد اخرته ذنوبه *** و الشوق تلفح قلبه نيرانه [3]

يظهر الحنين و الشوق إلى الرسول صلى الله عليه و سلم، لكنه حزين لأنه تخلف عن زيارة قبره الشريف بسبب كثرة ذنوبه فهو احساس بالحنين و التوبة.

و شاعرنا " عبابسة حسان " من أولئك الذين حنوا واشتاقوا إلى الرسول عليه الصلاة و السلام، من خلال قصيدة " رجلٌ لا يموت " فهو حنين و اشتياق، فيه نبرة

[1]–عمر بوقرقورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث1962،1945، مركز منشورات، باتنة، الجزائر، 1997، ص235.

[2]–محمد أحمد دقالي، الحنين في الشعر الأندلسي، ص340.

[3]– المرجع نفسه، ص:348.

الحنين و الأسى لأنه لم يكن من أولئك، الكرام الذي عزروه و نصروهُ ، فقلب الشاعر ينفطر شوقا إلى سيد الخلق، وعيونه تنهمر دمعا لكثرة الحنين خاصة و أنه لم يكون واحدا من أولئك الصّحب الكرام الذين بكوه لما بكاه النّخل و الحجر بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فكلهم شوق و حنين إليه، كذالك كان أمر شاعرنا الذي يعتصر شوقا و حنينا مثل الحمائم و البلابل التي رحلت و انقطعت عن الشدو من شدة و لوعة الشوق، و الحنين إلى المصطفى الأمين قائلا:

يا سيد الخلق كاد القلب ينفطر ***لما رآها دموع العين تنهمر

لما رآها عيون الصّحب باكية ***كذا بكاك النخل الصّب و الحجر.

لما رآها عيون الصّحب باكية *** ألا يظل لها في طيبة أثر[1]

وذي البلابل عن شدو قد انقطعت ***أيان تزهو و منها القلب يعتصر

و يواصل شاعرنا في شوقه من خلال تعداد مناقبه فهو الهدي الذي سقى صحراء الكافرين بأمطار إيمانية حيث القلوب الميتة تحت نير الكفر و الأصنام، وهو النّور الذي أضاء الكون كلّه، و فاق النّجوم و القمر و الشمس فهو نور هدى الأزمان قائلا:

فقد كنت هديا سقى صحراء من كفروا *** كذاك يحي موات التربة المطر

وكنت نورا به أنوارهم سطعت *** هم النّجوم و أتت الشمس و القمر

ويبقى الشوق و الحنين إلى رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم في قلب شاعرنا الذي لم يستطع كتمه في نفسه كما لم يستطيع لا الشعر و النثر وصف ذلك الحنين و الشوق و لا حتى البدر، و الدموع و الدّهر فكلّهم عجزوا كما عجز شاعرنا.

و الشاعر عبر قصيدته " السيرة الخالدة " و هي أكثر القصائد طولا، و كيف لا تكون، و هي كلها شوق و حنين، إلى رسولنا الكريم من خلال سيرته العطرة منذ أن كان طفلا في بطن أمه آمنة إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، و كانت كلها هدى رباني، و نفحات إيمانية تنبئ عن مدى حنين و شوق الشاعر، و حبه الكبير إلى شخص الرسول

[1]- عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 18.

سيد الخلق، وهي في نفس الوقت تنبئ عن مدى تمسكه بعقيدته، و دينيه و رسوله، و يفتح قصيدته بعدم السؤال لكل من (الشعر، البدر، الدهر) من خلال لا الناهية لان الشاعر ينهانا بعدم توجيه السؤال إليهم، لا في الوقت الحالي و لا الحاضر و لا المستقبل (لا تسأل) لأنهم كلهم عاجزون عن وصف الحنين و الشوق، وسوف يبقون عاجزين مدى الدهر في التعبير عن مدى الشوق و الحب و الحنين و جملة (لا تسأل) كرّرها الشاعر أربع مرات تأكيدا على العجز و القصور في بحور الشوق قائلا :

لا تسأل الشعر هل كلت قوافيه ***لا تسأل النثر عن معنى يجافيه

لا تسأل البدر كم من دمعة ذرفت*** و كم من الدمع يا بدر يكافيه

لا تسأل الدهر عن أيامه انكدرت *** مذ غاب أحمد ما عادت تصافيه [1]

فمنذ أن غاب أحمد سيد الخلق لم يستطيعوا كتم الشوق إليه، ولا وصفا يوافيه في شخصه عليه الصلاة و السلام و يواصل الشاعر في بث لواعج الشوق قائلا (هذا محمد) و هنا تناص مع قصيدة الفرزدق في مدح زين العابدين حفيد الرسول صلى الله عليه و سلم :

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلة *** بجده أنبياء الله قد خلقوا[1]

انه سيدنا محمد عليه الصلاة و السلام خير الخلق، حيث عجز العقل أيضا في الوصف الذي يُوافيه، فنجد بُشرى بمولده، الذي أطفئ نار الماجوس و أهْوى عرش كسرى، وردّ الفيل بطيور الأبابيل فهو من آل هاشم وابن الذّبيحيْن يتيما يُولد، صبيا يكبر دون أبوين و تكون حليمة مُرضعته، و في بَدوها تظهر كَرامته و يَحنوا عليه عمُّه، ويَشدُّ عزيمته، و يكبُرْ لتكون خديجة زوجته تؤاسيه، و ليلة القدر فيها القرآن مُعجزته تَهْديه و الإسلام يُصافيه، وعام حزن يُجافيه، و إسراء الأقصى يُناديه، ويثرب دولته و مُناصريه أوسًا و خَزْرجًا أخوة تُوافيه، و أسس دولة الحق و الإسلام يَكفيه، و في وصفه لا شيء

عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت ص 18، 19.

[1]محمد عبد الرحيم، ديوار الفرزدق، ص 367.

يَكْفيه، و ها هو الشعر دائما تعجز قوافيه، و من كيد الغلاة الله يحميه ، و يبقيه سيرةً خالدة و إن كتبوا و رسموا و تآمروا، فالله يحميه و من شأنه يعْليه، و يبقي العجز و التقصير فلا شيئي كافيه و في الأخير ندعوا و نتضرّع مع شاعرنا إلى المولى عزَّ وجلَّ بالصَّلاة على المختار يا ربِّ شفّعنا فيه.

لان العقل عاجز حائر في وصف يُوافيه، و يا ربُّ كَفْكِفْ دموع الشَّوق و الحبّ التي تشتاق إليه، و ارزقنا أيَّاما، غير هذه الأيام السّقام على أُمة الإسلام في هذا الزمان حتى تُصافيه و يقول " عباسة حسان " في قصيدة " السيرة الخالدة " :

هذا محمد خير الخلق أجمعهم *** و العقل يعجز عن وصف يوافيه

من أرض نجد آتت بشرى، بمولده *** فازدادت الأرض بشرا كي توافيه

قد جاء نورا على النيران يطمسها *** و عرش كسرى تهاوى كل ما فيه

و رد كيدا أولي الأفيال عن حرم *** طير أبابيل يلقي الجمر من فيه

من آل هاشم رب البيت أفردهم *** سقيا الحجيج أتت تطوي فيا فيه

ابن الذبيحين عبد الله والده *** فتى قريش عفيف القلب صافيه

من بيت آل النجار أمنة *** أكرم بأصل سقا فرعا نما فيه

فقال جدّه هذا ابن فلذتنا *** أنا الكفيل له و الله كافيه

هاتوا المراضع من بدو و حضر *** هيا حليمة قومي كي توافيه

قد مسّ بني سعد كرامته *** فاحضّر عشب و أزهى في فيافيه

و فاض بالخير ضرع كان منكمشا*** ربت شياهٌ و كانت من نحافيه

لو كان لا يرجوك يا رب الورى*** إلا مطيع ما أتاك محالا

فلمن إذن يؤوي المقرّ بذنبه *** جفت دموعه و الأسى مازالا

وزن الحسان مع الذنوب فلم *** يجد إلا محاسن عفوك أمالا

أنت العليم بما في النفس من شجن*** أو ي إليك ما وجدت بدالا [1]

[1] عباسة حسان، صرخة في وجه الموت، ص 14،15.

و بعد هذا الإقرار من شاعرنا، و الاعتراف بالذنوب و طلب العفو نجده يواصل في طلب الصفح، و الاعتراف بالذنوب، حيث أنه أتى إلى الله مسرعا يأمل في العفو، ومن أجل تلك الذنوب التي أقرها الشاعر، و نحن كذلك نقر معه و نرجو العفو و الصفح والشاعر لأجلها (الذنوب) قد بكى بكاء حارّا، مزّق الأحشاء، لأجل الذنوب التي لا يحصيها، و في مسك الختام رجاؤه، و رجائنا جميعا، أن يغفر الله لنا خطايانا التي نجهل عدَّها، ويرحم أجسادنا التي نجهل مَردَّها، و إنشاء الله يرزقنا الجنّة عندهَا ،ويقول الشاعر " عباسية حسان " :

ربَّاه إني قد عرفت خطيئتي *** رجوت عفوك مسرعا إقبالا

وبكيت حتى أن دمع عيوني ***بل الحشى فمزقا أوصالا

فاغفر ذنوبا لست أحصي عدها *** و ارحم عيونا دمعها كم سالا [2]

أما في قصيدة " رجل لا يموت "، فان الشاعر يطلب المغفرة من المولى عز وجل إذ زلّ به لسانه، و هو في خضم مدح النّبي صلى الله عليه و سلم، و ليس من الأمر الهين مدحه عليه الصلاة و السلام لان الإنسان لا يرقى إلى الكمال، و به زلّة اللّسان انه خاتم الأنبياء جميعا عليهم أزكى الصّلاة و السلام يقول الشاعر :

يا رب عفوك إن زلّت بي الكلم *** فالخطب هول و ما بالقلب مصطبر [3]

فعلا يا ربّي إن عفوك يأسرني ،و لسان عاجز يقهرني و كلامي عابث يؤخرني و ذنوبي شاخصة تسألني و حيرتي في السؤال من يجيبوني، آه يا رب فان القلب ليفجع و النفس لا تطمع في عفوك كي تسعد.

ويقول الشاعر:

إذْ جَاءهُ المَلكانِ الأمْر قَدْ سَمِعا***فأزْوياهُ مكَان لَا يُرى فيه

و أضْجَعاهُ وشَقَّ الصَّدْر وابْتَدر***مِنْهُ الفؤاد زادَ في تَعافيه

---

[2] عبابسة حسان ،صرخة في وجه الموت ،ص 17.

المرجع نفسه، ص 17.

وَ كانَ يُتْما لَهُ الرَّحْمانُ قد قَسَما***أمْر الإله وهَل يُجْدي تَلافيه.

وصارَ عنْد أحنِّ العمّ مَنزلة*** يَحنو عليه ومن هم يُعافيه.

هذي خديجة قد رامته في خلق***فصار بعلا وصارت من مصافيه.

إذْ قال اقرأ لأمّي فما قرأ***أعاداقرا فردد ما تلا فيه.

قالت و ربك ما يخزيك خالقك***يامن يساعد ملهوفا و يشفيه.

وجاءه الامر ان اصدع فقد وجبت***فقاملكون يدعوا كل من فيه.

أسرى الاله بخير الخلق تسلية***في عام حزن كسيح السعد حافيه.

نادته يثرب والاشواق تسبقها***قد كان حبا و كانت من شغوفيه.

آخى بِحبّهِ أَنصاراً مُهاجرة***أَوس و خزرج صاروا اخوة فيه.

وَأسَّسَ الدَّولة العُظْمى على خُلق***مِن التَّسامُح فِي عدل يُوافيه.

أَبْعد هَذا الَّذي التّاريخ سطَّرهُ***و الشِّعر تعْجِز عنْ وَصْفِ قَوافيه.

يَبْغي الغُلاة به سوءا فُيُعجزهم***رَبُّ البَرايا بِكيد مِن خَوافيه.

والله مِثْل ما قالوا وَما رَسموا***إلاَّ كَكلبٍ رَأَى نَجْمًا يُجَافيه.

يَا رَبُّ صَلِّ عَلى المُخْتار أَحْمَدِنا***مَنْ حَارعَقلِي فِي وصْفِ يُوافيه.

كَفْكِفْ دُمُوعًا فرِاقَ الحبِّ أَهْطِلِها***وامْنَحْ لِدَهْري أيَّامًا تُصافيه[1].

[1] عبابسة حسان،صرخة في وجه الموت،ص21-28.

خاتمة

ويصل الباحث في آخر المطاف إلى ركن يخلد فيه للراحة كما تخلد السفينة بعد أسفارٍ وسباحة والتي تغذي البدن أما دراستنا فتغذي الذهن بظاهرة الحس المأساوي فهو عاطفة إنسانية زعزعت القلوب وهزت الأنفس لا يعطفها إلا البكاء ؛ هو لغة لها أقلامها وحبرها الخاص وهو الحبر الحزين يعتصر ألما وأنينا ، وبعد الدراسة والتقصي ظهرت نتائج التأسِّي :

1-أن لفظة المأساة لفظة عامة تتدرج تحتها العديد من المعاني التي تطورت وتبلورت من عصر إلى آخر لتصل إلى قمتها في عصرنا الحالي الذي تعُمه القاتمة، والسواد.

2-أفصحت النصوص الشعرية عن فروق دلالية بين تلك المعاني من حيث الشدة والطول.

3-أوضاع عالمنا العربي المترامي الأطرف الذي سبح دون مجداف في بحيرة الدماء والأعداء كانت الباحث الأساسي والأول للحس المأساوي عند عباسية حسان ،حيث أنه نفجر بقصائد كلها ألم وحسرة وبكاء على زمن ولدنا فيه نطفة الحرب لتكون بارودًا للموت يقتل بعضها البعض .

4- لقد كانت القضية الفلسطينية مدار جل قصائده والتي أخذت حصة الأسد فهي الجرح الدامي الذي ما زال ينزف لحد اليوم.

5-كانت له وقفات في مقدماتها وقفة مع العراق مكسور الجناحين جناح الاحتلال ، والآخر للاقتتال (حرب أهلية طائفة سنة كردية شعبية أما الوقفة التالية كانت مع لبنان الجريح طفل الكسيح سنة شيعة ومسيح ، وفي الأخير تعريجه على قضايا في إطار البعد الإسلامي والصومال و الشيشان.

6-النفاق والشقاق في العراق والتقزم والشتات والسلام الميت تحت طاولة المفاوضات والسلام في السبات تلكم هي أهم الأسباب ضياع فلسطين ، وانقسام العرب مهزومين .

7-طلعت قصائده الألحان الجنائزية المعبرة عن الألم والتحسر.

8-الحجر سلاح مادي في حين الهجو السياسي سلاح معنوي قال الرسول صل الله عليه وسلم : أهجهم يا حسان فروح القدس معهم .

9-الوقوف عند عِلَلٍ اجتماعية كانت لها الأثر العميق في زيادة الحس المأساوي

10-عناوين القصائد بكائية صارخة تنوء عن بشاعة لمأساة.

11-الحس المأساوي الديني تضرع وشكوى إلى الله العليم ،وشوق وحنين وتأني إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كما اشتاق وحنّ الكثير من الحيارى الذين شغلتهم آلام.

12- الشاعر عبابسة حسان شاعر معتزم بعروبته وبعقيدته له خبرة ثقافية واسعة تنبئ على ثقافته ونزعته ثقافية إسلامية .

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.

1-المصادر:

1. عبابسة حسان، صرخة في وجه الموت، دار الروائع، سطيف، الجزائر، ط1، 2010م.

-الدواوين

2. أحمد شوقي، الديوان ج1، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط2، 1989م.
3. أوس داوود يعقوب، ديوان القدس (من أجمل ما قيل عن الأشعار في مدينة القدس)، دار صفحات، دمشق، سوريا، ط1، 2009م.
4. تميم البرغوثي ، في القدس ، الشروق ، القاهرة ، مصر ط 1 ، 2009م.
5. سعاد سعيود، عضب السنابل، دار الألمعية ، قسنطينة، الجزائر،2015م.
6. سعد مردف، يوميات قلب، مطبعة دركي الوادي،الجزائر ، د.ط،2005م.
7. فاتح علاق ، الكتابة على الشجر ، دار التنوير الجزائر ط1 ، 2010م.
8. محمد الأخضر عبد القادر السائحي، مدن غازلتي، منشورات السائحي، الجزائر، الجزائر، ط1، 2015م.
9. محمد الأخضر عبد القادر السايحي، من عمق الجرح الفلسطيني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 1989م.
10. محمد عبد الرحيم، ديوان الفرزدق (مع السيرة و الأقوال و النوادر)، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.
11. محمد مقروف أحمد ، رسائل في الحب والألم ، رابطة إبداع الثقافة ،الجزائر، الجزائر، د ط،2007م.
12. محمود درويش، في حضرة الغياب، رياض الدّيس للكتب، بيروت، لبنان، ط2، 2009م.
13. مصطفى محمد الغماري ، العيد و القدس و المقام ، وحدة الطباعة الرويبة، الجزائر (د.ط)، (د.س) .
14. يوسف شكري فرحات، ديوان أبي فراس الحمداني، دال الجيل، بيروت، لبنان، (د ط) (د، س).

15. محمد عبد الرّحيم، ديوان أبو الطيّب المتنبي مع السيرة والأقوال والنوادر)، دار الرواتب الجامعية، بيروت، لبنان، د.ط، 2002م.

2-المراجع:

أ-المراجع العربية:

إبراهيم السعافين،خليل الشيخ ،مناهج النقد الأدبي الحديث ،الشركة العربية المتحدة والإرادات ،القاهرة ،مصر ، ط2 ،2013م.

1. أثير محمد الشهاب وآخرون، أنطلوجيا الشعر العراقي المعاصر 1981م-2010م)، دار الفضاءات، عمان، الأردن، د.ط، 2013م.
2. إحسان عباس، فن الشعر، دار الشروق، عمّان، الأردن، ط1، 1996م.
3. احمد إسماعيل عبد لكريم، القضية الفلسطينية (في الشعر العربي المعاصر)،دار الوراق، الأردن، عمان، ط1، 2015م.
4. أحمد زكي كنون، المقدّس الدّيني في الشعر العربي المعاصر (من النكبة إلى النكسة)، إفريقيا، الشرق، الدّار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 2006م.
5. أحمد عبد الرحمان عقراوي، الحزن في الشعر الأموي، مكتبة زين الحقوقية، بيروت، لبنان، ط1، 2016م.
6. أحمد علي فلاحي الإعراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري (دراسة اجتماعية نفسية) ، دار عيداء ،عمان ، الأردن ، ط2013،1م.
7. أحمد علي فلاحي، الاغتراب في الشعر العربي وفي القرن السابع الهجري، دراسة اجتماعية نفسية، دار غيداء، عمان، الأردن، ط1، 2013م.
8. آمنة لعلي، تجليات مشروع البعث والانكسار في الشعر العربي المعاصر (دراسة تطبيقية) ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون،الجزائر، 1995، ص26.

9. أميرة عبد السلام زايد، جدلية الشعر والتربية (القيم التربوية في شعر أمل دنقل)، دار العلم والإيمان، دسوق، مصر،2011م.
10. أميرة عبد السلام زايد، جدلية الشعر والتربية، (القيم التربوية في شعر أمل دنقل)، دار العلم والإيمان، دسوق، مصر، ط1، 2011م.
11. التهامي الهاني، نصوص وقراءات الوطن والمرآة (في شعر نزار قباني)، دار صامد المغاربية، صفاقس، تونس، ط1، 2004م.
12. جليل حسن محمد، الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام، دار دجلة، عمان، الأردن، ط2، 2009م.
13. حاتم عبيد، التكرار وفعل الكتابة في الإشارات الإلهية لأبي حيّان التوحيدي، دار الكنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2015م.
14. حسن محمد الرّبيعية، الترجمة الذاتية لأبي فراس الحمداني(من دوانه دراسة جديدة)، المركز القومي للنشر، اربد، الأردن، ط1، 1989م.
15. حسين سرمك حسن، إشكالية الحداثة، دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط، 2016م.
16. حسين عاروس، على متن سفينة المتنّبي(حوار خارج حدود الزمن)، دار المدني، الجزائر، د.ط، 2003م.
17. حسين علي محمد، من وحي المساء (مقالات ومحاورات)، دار الوفاء، الإسكندرية
18. حصة البادي، التناص في الشعر العربي الحديث، البرغوثي أنموذجا، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2009م.
19. حميد آدم توني ،الشعر الاجتماعي ،الأسرة في الشعر العربي ، دار الصفاء ،عمان ، الأردن ،ط2008،1م.

20. خالد الجرار ورزان إبراهيم، شعرية الفقد (جدلية الحياة والموت في شعر الخنساء)، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 2013م.

21. رابح بن خوية، جماليات القصيدة الإسلامية المعاصرة (الصورة، الرمز، التناص)، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2013م.

22. رمضان حيوني، الاغتراب في شعر محمد الماغوط، دار الأيام، عمان، الأردن، ط1، 2015م.

23. رمضان حيوني،الاغتراب في الشعر المغوط، دار الأيام،عمان، ط1، 2015م.

24. سعد حميد يونس الراشدي، الآخر في شعر المتنّبي، دار المجدلاوي، عمّان ، ط1، 2006م.

25. شكري عزيز ماضي، شعر محمود درويش (أيديولوجيا السياسية والسيميولوجيا الشعر)، دار فارس، بيروت، لبنان، لبنان، ط1، 2013م.

26. عائض القرني،لا تحزن، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط4، 2004م.

27. عبد الحق ميقراني، شعرية الحرب وعنف المتخيّل، دار وليلي، مراكش، المغرب، ط1، 2008م.

28. عبد الحليم حمود، محمود درويش (حناجر تلتقي لتكتمل الصرخة)، دار البحار، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.

29. عبد الحليم حمود، محمود درويش(حناجر تلتقي لتكتمل الصرخة)، دار الهلال بيروت، لبنان، 2010م.

30. عبد الحليم مخالفة، تجليات الأسطورة في أشعار نزار قباني، منشورات السائحي، الجزائر، الجزائر، ط1، 2012م.

31. عبد القادر قيدوح، الإتجاه النفسي في نقد الشعر (دراسة)، دار الصفاء عمان الأردن، ط1، 1998م.

32. عبد الكريم أحمد إسماعيل، القضية الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر،دار الوراق، عمان، الأردن، ط1، 2015م.

33. عبد الله حمادي ، نفاضة الجراب (تأملات في الأدب والسياسة) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر.

34. عبد الله عزام، حتى لا تضيع فلسطين، دار السلام، الجزائر، الجزائر، ط1، 1991م.

35. عز الدّين إسماعيل، الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2002م.

36. عز الدّين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر(قضاياه وظواهره الفنّية والمعنوية)، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1979م

37. عصام شرتح، جمالية التكرار في الشعر السوري المعاصر، دار رند، دمشق، سوريا، ط1، 2010م.

38. على بن رشيد الدبيان، الخمر عقوبتها و آثارها، مجلة العدل، العدد، 37، 1429هـ،

39. عليّ حداد، منطق النخل (استدعاء قرآنية في الشعر الحديث)، إتّحاد كتاب العرب، دمشق سوريا، (د.ط)، 2008م.

40. علي حداد، منطق النخل (استدعاءات قرآنية في الشعر العراقي الحديث)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د،ط)، 2008م.

41. عمر أحمد الرابحات، الأثر التوراتي في شعر محمود درويش، دار اليزوري، عمان، الأردن، 2006م

42. عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث1962،1945، مركز منشورات، باتنة، الجزائر، 1997م.

43. فاطمة تاجور، المرأة في الشعر الأموي إتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، د.ط،2000م.

44. فاطمة تحور، المرأة في الشعر الأموي، إتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، ط.1، 2000م.

45. فاطمة طحطح ، الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1993م.

46. فيصل حسان الحولي، التكرار في الدراسات النقدية (بين الأصالة و المعاصرة)، دار اليازوري، عمان، الأردن، الطبعة العربية، 2015م.

47. كاميليا عبد الفتاح، إشكالية الوجود الإنساني(دراسة نقدية تطبيقية في الشعر الواقعي والحداثي)، دار المطبوعات الجامعية، إسكندرية، مصر، د.ط، 2008م.

48. كاميليا عبد الفتاح، الشعر العربي القديم (دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب) دار المطبوعات الجامعية، 2008م.

49. مجمد صابر عبيد، سيمياء الموت تأويل الرؤية الشعرية (قراءة في تجربة محمد القيسي)، دار تينوي، دمشق، سوريا، د.ط، 2010م.

50. محمد أحمد الدّقاني، الحنين في الشعر الأندلسي، دار الوفي، الإسكندرية، مصر، ط1، 2008م.

51. محمد أحمد دقالي ، الحنين في الشعر الأّندلسي ، دار الفاء ، إسكندرية ، مصر،ط1 ، 2008 م.

52. محمد الهادي بوطارن، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 2010م.

53. محمد زكي العشماوي، الأدب وقيم الحياة المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د.ط)،1980م.

54. محمد سليمان، الحركة النقدية حول تجربة أمل دنقل الشعرية، دار اليازوري، الطبعة العربية،270، عمّان، الأردن،2007م.

55. محمد شهاب العاني ، الشعر السياسي الأندلسي ، دار دجلة ، عمان ، الأردن ، (د ط) ، 2008م.

56. محمد طربية، نثر نزار قباني، دار الينابيع، دمشق ، سوريا، ط1، 2003 م.

57. محمد عبيد الله، شعرية الجذور (قراء في شعر عز الدين المناصرة)، دار مجد لاولي، عمان الأردن، ط1، 2006م.

58. محمد كشاش، اللغة والحواس (رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات غير اللسانية)، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 2001م.

59. مصطفى عبد الشافي، في الشعر الحديث والمعاصر، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، د.ط، د.سنة.

60. مقداد رحيم، رثاء النفس في الشعر الأندلسي، دار جهينة، عمان الأردن، ط1، 2007م.

61. ميشال عاصي الفنّ والأدب (بحث جمالي في الأنواع والمدارس الأدبية الفنّية)، المكتب التجاري، بيروت، لبنان، ط1، 1970م.

62. نصيب نشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الجزائر، 1984م.

63. نواري سعودي، أبو زيد، جدلية الحركة والسكون (مقاربة أسلوبية لدلائلية النبّي في الخطاب الشعري عند نزار قباني " الغاضبون" أنموذجا، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2009.

64. يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، دار مجدلاوي، الأردن، عمان، ط1، 2008م.

ب-المراجع المترجمة:

1. جريجور شولوتر، نظرية الأدب الأرسطية، مشكلات أساسية، ترجمة: محمود درابسة، دار الجرير، عمان الأردن، ط1، 2008م

3- المعاجم والقواميس:

1. إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط المكتبة الإسلامية ، اسطنبول تركيا ،1960.
2. ابن منظور، لسان العرب، ج6، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 1994م.
3. أحمد العابد وآخرون، "المعجم الأساس"، القاهرة، مصر، د.ط،1989م.
4. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، (د.ط)، بيروت، لبنان، 1982م.
5. الخليل ابن أحمد الفراهيدي، معجم العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، مج4.
6. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، لبنان، مج18.
7. الفيروز آبادي ، قاموس المحيط، مادة (الحس)، دار المادة الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 199م، ص328.
8. محمد بو زاوي، قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني، الجزائر، ط1، 2003م
9. محمد بوزواوي ، قاموس مصطلحات الأدب ، دار مرئي ، الجزائر ، الجزائر ، د.ط ، 2003 م.
10. محمد جمال الكيلاني، معجم المصطلحات الأفلاطونية (مفهومها و دلالتها)، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، مصر، 2010م
11. مصطفى إبراهيم وآخرون، قاموس الوسيط، مادة (حسَّ) ح، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، (ر،س).

12. مولود بن زايدي، معجم التراث، دار الألمعية، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2013م.

4- المجلات والمقالات:

1. أحمد سيف الدين: ظاهرة الحرب في الشعر العربي الحديث، مجلة جامعة البعث، المجلد37، العدد 10، 2015م.
2. بحري محمد الأمين، المأساوية في الأدب العالمي، مجلة الأدب واللغات، جامعة الجزائر، الجزائر، العدد4، 2010م.
3. جاسم غالي رومي، لفظة الحزن وأثرها في شعر نازك الملائكة، مجلة آداب، البصرة، العدد60، 2012م.
4. حمة دحماني، قضايا النص الشعري الحديث والمعاصر، مجلة الآداب، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد105، 2009م.
5. خولة محي الدين يوسف ، فلسطين والحصار، مجلة جامعة دمشق ، دمشق ، سوريا ،المجلد 27 ، العدد 4 ، 2011 م.
6. السعيد بخليلي، الحس المأساوي في الشعر الجزائري القديم (عصر الدولة الحمادية أنموذجا)، ماجستير(مخطوطة)، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2006م.
7. سيف الدّين، ظاهرة الحزن في الشعر الحديث، مجلة جامعة البعث، البصرة، العراق، المج37،العدد10، 2015م.
8. سحنون أم الخير، الهجرة غير الشرعية لدى الشباب الجزائري (الأسباب والعوامل)،جامعة بونعامة، خميس مليانة، الجزائر،د.سنة.

5- الرسائل والمذكرات:

1. حفصاوي إسماعيل، الحراقة: المعاش وتصورات، ماجستير، مخطوطة، جامعة السانية وهران، الجزائر، 2011م.

2. خريف سارة، السلوكات العدوانية لدى المقيمات بدار الطفولة المسعفة وتأثير الوسط المؤسساتي (دراسة ميدانية بدار الطفولة المسعفة بنات)، ماجستير(مخطوطة)، جامعة محمد منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2010م.
3. رضوان الجنيدي، الحس المأساوي في شعر أبي الحسن على الحصري القيرواني، ماجستير(مخطوطة)، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2008م.
4. السعيد الراوي، ظاهرة الحزن في شعر شاكر السيّاب، ماجستير(مخطوطة)، جامعة باتنة، الجزائر، 1986م.
5. السعيد بخليلي، الحس المأساوي في الشعر الجزائري القديم (عصر الدولة الحمارية)،
6. نبيلة تاوريريت ، القصائد السياسية لنزار قباني (دراسة سيميائية) ،دكتوراه (مخطوطة) ،جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر،2015م.
7. نعيم الله شاه سيّد، التكبر والبغي في ضوء سورة القصص، ماجستير (مخطوطة)، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، ماليزيا، د.سنة.
8. أحمد الطيّب معاش، دواوين الزمن الحزين، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
9. ينظر: الموقع الإلكتروني:
.http.s.//www.alanba.com.kw/ar/art.news/…/30-03-2017

الملاحق

التعريف بالشاعر:

عبابسة حسان شاعر جزائري من مواليد 1974 بالخروب، ويعمل بمستشفى سطيف ، فهو شاعر وطبيب بكلّ مسؤولية

جرّاح القلوب والأوعية الدموية

جراح القصيدة بكلّ عفوية

الملتزم بالوطن و القضايا العربية.

أهم دواوينه:

مبحر في ذكرياتي.

مواسم الغاردوشكا والصبار.

صرخة في وجه الموت.

أزهار الغاردوشكا.

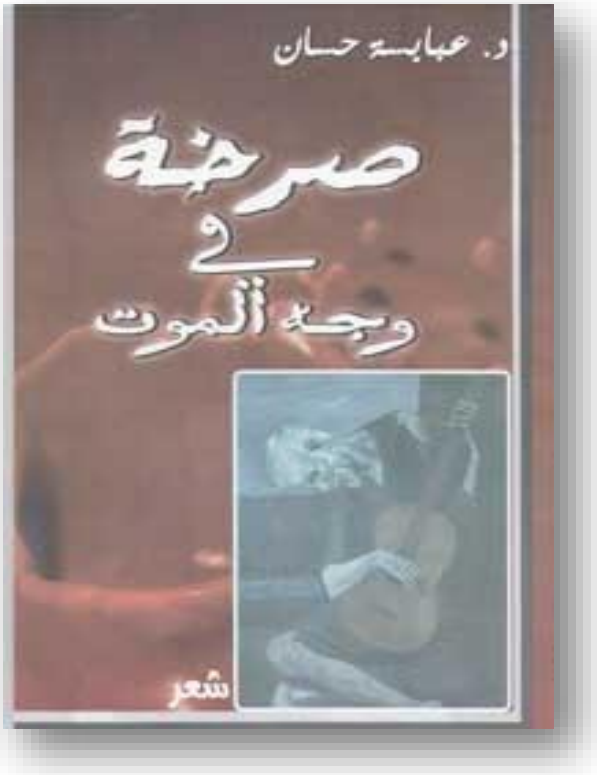
د. عباسة حسان
صرخة
في
وجه الموت
شعر

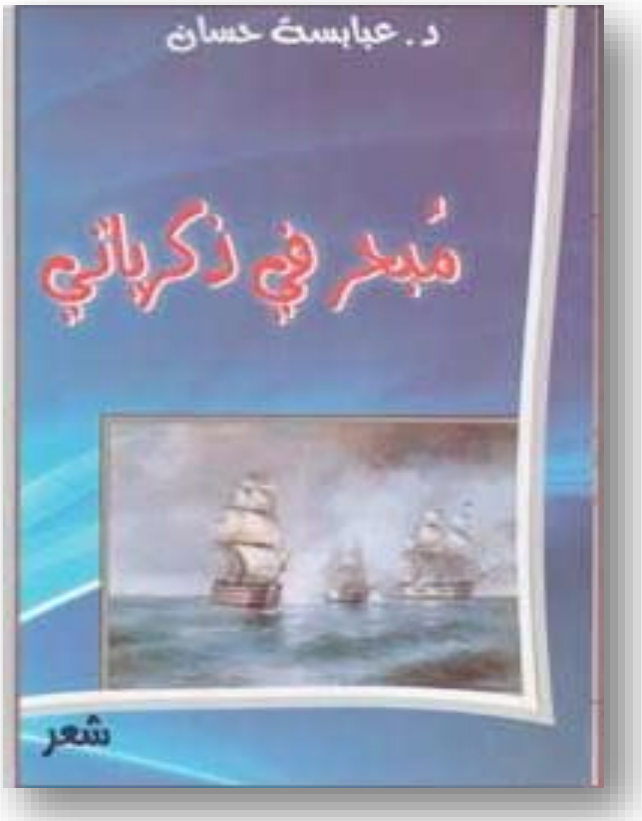
د. عباسة حسان
مُبحر في ذكرياتي
شعر

الفهرس:

الموضوع:	الصفحة
شكر و عرفان	
مقدمة	أ
الفصل الأول: الحس المأساوي (مفاهيم وتشكيلات)	
أولا: تعريفات عامة:	5
1-ماهية الحس والمأساة لغة.	6
1-أ-الحس.	6
1-ب- المأساة.	6
1- ماهية الحس والمأساة اصطلاحا:	7
1--أ-الحس.	7
1--ب- المأساة.	7
ثانيا: الجذور التاريخية للحس المأساوي.	9
1-الفكر اليوناني.	9
2-الفكر المصري.	12
3- الفكر الهندي القديم.	12
4-الفكر العربي.	13
5-الفكر الغربي.	14
ثالثا: مستويات ودواعي المأساوية.	17
1-المستويات.	18
1-1الحزن	18
1-1- لغة	19

1-2- اصطلاحا	19
1-2-الأسى.	22
1-3- الهم.	23
1-4- الخوف.	24
1-5-الرعب.	25
1-6-الأسف.	25
1-7-اللهف.	26
1-8- الموت.	27
1-9-الجرح.	31
1-10-المأساة.	32
2)- الأسباب.	34
الفصل الثاني: تجليات الحس المأساوي عند عبابسة حسان من خلال ديوان صرخة في وجه الموت	
أولا: الحس المأساوي السياسي.	53
1)الحس المأساوي الفلسطيني	55
أ) الحس المأساوي في ثنائية الطفل والحجر.	66
1-ب) الحس المأساوي في الهجو السياسي.	73
2)الحس المأساوي العراق	92
3)الحس المأساوي اللبناني.	103
4)الحس المأساوي الإسلامي (الصومال، الشيشان)	108
ثانيا: الحس المأساوي الاجتماعي.	110
21) مأسوية الطفولة المسعفة	111

2) مأساوية الحرّاقة.	114
3) مأساوية التّكبر.	118
4) مأساوية أم الخبائث.	120
5) مأساوية العمى.	121
6) مأساوية البؤس	124
ثالثا: الحس المأساوي الديني	126
1) التضرع	126
2) الشكوى.	129
3) الاستشفاع.	133
4) الحنين.	135
الخاتمة.	153
قائمة المصادر والمراجع.	155
فهرس الموضوعات	
الملحق.	
الملخص	

ملخص:

استفاضت ظاهرة الحس المأساوي في عصرنا الحالي حتى أصبحت سمة بارزة دالة عليه ،وعلى بحثنا الذي وسمَتْهُ ب:الحس المأساوي من خلال ديوان صرخة في وجه الموت لِعباسية حسان ناءت فيه بعدة أسباب وفي مقدمتها الساحة السياسية الانهزامية للمشهد العربي حيث كانت الباعث الأول والأساس ، إلى جانب عِلل اجتماعية زادت من حدد المأساوية ، لذلك فقد تم استنطاق نصوص شعرية للمدونة ، باعتبارها نصوصًا أدبية لم يسبق تطبيق هذا الموضوع فيها .

RESUME :

LE phénomène du sens tragique a l époque actuelle en en est devenu un trait marquant , ainsi que nous l avons décrit dans nos recherches : le sens tragique a travers «le cri face a la mort».

Abbasah Hassan a été fonde pour plusieurs raisons ; en premier lieu l arène politiqua UE défaitiste arabe , ou le motif principal était :

Parallèlement aux problèmes sociaux qui ont aggravé la tragédie, les textes littéraires du du code ont été adaptés en tant que textes littéraires dans lesquels ce sujet n à jamais été appliqué.